



جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها
(دراسة تطبيقية على سور الحواميم)

إعداد

وفاء كمال فيصل قلالوة

إشراف

د. سعيد إبراهيم دويكات

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين (عام)، من كلية الدراسات العليا، في جامعة النجاح الوطنية، نابلس - فلسطين.

2022م

المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها
(دراسة تطبيقية على سور الحواميم)

إعداد

وفاء كمال فيصل قلالوة

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 2022/12/29م، وأجيزت:

| | |
|---------|--|
| التوقيع | د. سعيد إبراهيم دويكات المشرف الرئيسي |
| التوقيع | د. حازم الزيود الممتحن الخارجي |
| التوقيع | د. محمد عياش الممتحن الداخلي |

إهداء

- إلى نبيِّ الرَّحمة، ونورِ العالمين، المعلمِ الأوَّل، وهادي البشرية، محمدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ وإتْمُ التسليم.
 - إلى والديَّ الكريمين، الذين أولياني رعايتهما، وحثَّاني على إتمامِ مشوارِ الدراسة، وأخصُّ بالذكر أُمِّي الحنونة التي كان لها الدورُ الأكبرُ في تنشئتي، وتشجيعي على إكمالِ دراستي العليا، ولا أنسى دعاءها لي بالغدوِّ والآصال ، فأدعو الله -عزَّ وجل- أن يبارك في دينها، وبدنها، وذريتها، وأن يجعل ذلك في ميزانِ حسناتها يوم القيامة.
 - إلى زوجي الغالي الذي سهر، وتعب، ووقف بجوارِي، وأعانني على إتمامِ هذه الدراسة.
 - إلى أبنائي رياحين قلبي وزهرة فؤادي: سها، وريم، وعمر الفاتح (رحمه الله).
 - إلى جامعتي، جامعة النجاح الوطنية التي أفرح بأنني من طالباتها، وأسأل الله أن يديمها منارة للعلم والعلماء.
 - إلى أساتذتي الأفاضل، وزملائي طلابِ كليةِ الشريعةِ في جامعة النجاح الوطنية.
 - إلى جميع الدارسين وطلبة العلم في كل مكان.
- أهديهم جميعاً هذا البحث المتواضع، راجيةً من الله العليِّ القدير أن ينفع به، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم،
إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه.

شكر وتقدير

أحمد الله وأشكره أن منّ عليّ بإتمام هذه الدراسة، وأسأله -سبحانه- أن ينفعني بها، وينفع المسلمين، والباحثين، وطلبة العلم بها.

وانطلاقاً من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"¹ فَإِنِّي أَتَقَدَّمُ أَوَّلًا بِجَزِيلِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ لمعلمي الدكتور سعيد إبراهيم دويكات، الذي أشرف على هذه الدراسة، فَإِنَّهُ لَوْلَا تَوْفِيقُ اللَّهِ أَوَّلًا، وَمَتَابَعْتُهُ لِي ثَانِيًا، لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ لِتَخْرُجَ إِلَى النُّورِ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَنَفَعَ بِعِلْمِهِ .

وَأَتَقَدَّمُ ثَانِيًا بِالشُّكْرِ وَالامْتِنَانِ للدكتور/ حازم زيود، والدكتور/ محمد عياش اللذين تفضلاً بقبول مناقشة هذه الدراسة، وإثرائها من غزير علمهما، فبارك الله بهما وجزاها خير الجزاء .

كما وأخضُ ثالثاً بالشكر لكلية الدراسات العليا، وقسم أصول الدين ممثلاً بالهيئة الأكاديمية والإدارية. والشكرُ موصولٌ لكلِّ من أسهم في إعدادِ هذه الدراسة، سواءً بالمساعدة في إتمامها، أو بالدعاء لي في ظهر الغيب، فجزى الله الجميع خيراً على ما قدموه.

¹ أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت:275هـ): السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت- صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم: 4811، ج4، ص255. قال الألباني: صحيح. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت)، رقم:7719، ج2، ص1276.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها (دراسة تطبيقية على سور الحواميم)

أقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنَّ هذه الرسالة ككل أو أيَّ جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: وفاء كمال فيصل قلالوة

التوقيع:

التاريخ: 2022/12/29م

فهرس المحتويات

| | |
|-----|--|
| ج | إهداء |
| د | شكر وتقدير |
| هـ | الإقرار |
| و | فهرس المحتويات |
| ز | الملخص |
| 1 | مقّمة |
| 7 | الفصل الأول: المناسبات: معناها، نشأتها، أهميتها، وموقف العلماء منها |
| 8 | المبحث الأول: معنى "المناسبات" لغة واصطلاحاً |
| 12 | المبحث الثاني: نشأة وتطور علم "المناسبات" |
| 21 | المبحث الثالث: أهمية علم "المناسبات" |
| 26 | المبحث الرابع: موقف العلماء من علم "المناسبات" |
| 35 | الفصل الثاني: أنواع المناسبات في القرآن الكريم |
| 36 | المبحث الأول: المناسبات في السورة الواحدة |
| 36 | المطلب الأول: المناسبة بين الآية والتي تليها |
| 40 | المطلب الثاني: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمتها |
| 42 | المطلب الثالث: المناسبة بين حكمين في الآيات أو الآية |
| 44 | المطلب الرابع: المناسبة بين مضمون السورة واسمها |
| 48 | المبحث الثاني: المناسبات بين السور |
| 48 | المطلب الأول: تعريف السورة وترتيب السور في القرآن الكريم |
| 59 | المطلب الثاني: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبلها |
| 62 | المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون التي تليها |
| 65 | الفصل الثالث: دراسة تطبيقية على سور الحواميم |
| 68 | المبحث الأول: المناسبة بين خواتيم سورة غافر وفواتح سورة فُصِّلَتْ |
| 76 | المبحث الثاني: المناسبة بين خواتيم سورة فُصِّلَتْ وفواتح سورة الشورى |
| 84 | المبحث الثالث: المناسبة بين خواتيم سورة الشورى وفواتح سورة الزخرف |
| 89 | المبحث الرابع: المناسبة بين خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان |
| 96 | المبحث الخامس: المناسبة بين خواتيم سورة الدخان وفواتح سورة الجاثية |
| 101 | المبحث السادس: المناسبة بين خواتيم سورة الجاثية وفواتح سورة الأحقاف |

| | |
|----------|------------------------|
| 109..... | الخاتمة |
| 111..... | قائمة المصادر والمراجع |
| B..... | Abstract |

المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها

(دراسة تطبيقية على سور الحواميم)

إعداد

وفاء كمال فيصل قللوة

إشراف

د. سعيد إبراهيم دويكات

الملخص

تُعنى هذه الدراسة بدراسة التناسب بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها، وهي دراسة تطبيقية على سور الحواميم، حيث تهدف إلى تبيان وجه المناسبة الذي ظهر في الدراسة.

وحاولت الدراسة الإجابة على السؤال الرئيس: هل هناك علاقة بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم؟

واتبعت الباحثة في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي اعتماداً على عرض فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم وتفسيرها وتحليلها، ثم المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع المناسبات بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم، وجمعها، وإظهار العلاقة بينها بالاستناد إلى كتب التفسير، والمؤلفات الخاصة بعلم المناسبات، وكتب علوم القرآن وغيرها من المراجع التي يمكن الاستفادة منها في هذه المسألة.

وقد اشتملت الدراسة على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، أمّا المقدمة فكان الحديث فيها عن أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وأما بالنسبة للفصول، فقد كان الفصل الأول منها يدور حول معنى المناسبات، ونشأتها، وأهميتها، وموقف العلماء منها، ثم يأتي الفصل الثاني بعنوان: أنواع المناسبات في القرآن الكريم، ويحتوي على مبحثين: الأول: المناسبات في السورة الواحدة، والثاني:

المناسبات بين السور، وأمّا الفصل الثالث -وهو لبّ الدراسة- فاحتوى على دراسة تطبيقية على سور الحواميم، ومناسبة فواتح كل سورة مع خواتيم ما قبلها. وأخيراً الخاتمة، فتوجز الحديث في أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وأبرز التوصيات.

وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أهمها: أنّ هناك علاقةً وطيدةً وممتينةً بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها الأمر الذي ظهر في سور الحواميم، فهناك من هذه السور ما اتفقت وجوه المناسبة فيها عند المفسرين، وهناك سورٌ تباينت فيها آراؤهم، والاختلاف في هذا المجال هو من باب اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد. وأنّ المناسبة بين الفواتح والخواتيم قد تكون ظاهرةً، وقد تكون خفيةً تحتاج إلى مزيدٍ من التأمل والتدبر، وعدم ظهورها في مواضع لا تعني عدم وجودها.

الكلمات المفتاحية: فواتح السور، الخواتيم، المناسبات، السور، الحواميم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقْدَمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على المبعوثِ رحمةً للعالمين، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين وبعد:

فإنَّ المُتَبَصِّرُ في كتابِ الله عزَّ وجل يجد فيه مُبْتَغَاهُ من الأسرار، واللطائف، والمعاني التي قد تخفى على القارئ غير المُتَبَصِّرِ؛ ولكنها تتجلى لمن أطل الصُّحبة معه، وعمَّق الصلة به حتى خالطت كلمات القرآن شغاف قلبه، واستقرت في أعماق نفسه.

ولقد أنزل الله سبحانه القرآن الكريم هادياً ودليلاً إلى الصراط المستقيم، وفرقانا بين الحق والباطل، فتحدى به الأولين والآخرين من الإنس والجنِّ أجمعين، وجعل هذا الكتاب الكريم معجزاً في علومه وبيانه، فكان من وجوه الإعجاز العظيمة ارتباط سورهِ وآياته بعضها ببعض بروابط متينة في اللفظ والمعنى.

من أجل هذا اعتنى العلماء السابقون والمعاصرون بعلوم القرآن الكريم ومنها: علم مناسبة القرآن الكريم، فكان من فوائد هذا العلم الجليل: التأكيد على براعة الاستهلال في سور القرآن الكريم في تنوع أساليب فواتح السور الكريمة وتعدد موضوعاتها، وكذلك التأكيد على مناسبة فاتحة السورة لخاتمة السورة التي قبلها، وقد تناوله بعض المفسرين بالإشارة والتلميح لمناسبة فواتح السور لخواتيم السور التي قبلها كأحد أساليب البيان العظيم لما في القرآن الكريم من علوم باهرة ومناسبات ظاهرة.

وقد اتفقت سور الحواميم في براعة الاستهلال بالحديث عن القرآن الكريم والابتداء بالحرفين (حم)، وأكثرت في مضامينها على موضوعاتٍ متشابهةٍ، من أجل هذا ارتبطت هذه السور كلها برباط واحد وثيق، فهي كالأسرة الواحدة التي توالى فيها الأجزاء والمقاطع لتخدم غرضاً عظيماً هو بيان إعجاز القرآن الكريم.

من أجل هذا اخترتُ موضوع ((المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها: دراسة تطبيقية على سور الحواميم)) للبحث في أسرارها، والتدبر في مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها من سور الحواميم.

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة بشكلٍ أساسيٍّ على كتب التفسير؛ لأنها تساعد على الفهم السويِّ للقرآن، وذكرتُ أقوال المفسرين، ونسبتُ إليهم أقوالهم بشيءٍ من التصرف، كما حرصتُ على التعليق على تلك الأقوال، وحاولتُ إيجاد وجوه أخرى للمناسبة سوى التي أُشير إليها، وحرصتُ على إخراجها من كل سورة بعد إمعان نظر، وإعمال جهد وفكر.

وفيما يتعلق بتعريف السور اكتفت الدراسة -في معظم الأحيان- على ما ذكره الطاهر بن عاشور لحسن عرضه من ناحية، وخروجاً من الخلافات من ناحية أخرى، وفيما ذكره رحمه الله غنية للقارئ، وبُغية للطالب. وفي بيان المكي والمدني اعتمدت الدراسة على ما ذكره ابن عطية الأندلسي، وفي بيان الموضوع العام للسورة اعتمدت الدراسة على ما ذكره الفيروزآبادي في بصائر ذوي التمييز.

مشكلة الدراسة:

ثمة سؤال مهم يرتبط بهذه الدراسة مفاده: هل هناك علاقة بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم من القرآن الكريم؟

وتتفرغ عن هذا السؤال جملة من الأسئلة الفرعية، وهي:

1. ما علاقة فواتح السور بخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم؟
2. ما المناسبة بين فاتحة السورة مع مضمون السورة التي قبلها في سور الحواميم؟
3. هل هناك تباين بين آراء المفسرين في ذكر المناسبات بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم؟ وما مدى توافقهم واختلافهم؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1. بيان العلاقة بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها خاصة في سور الحواميم.
2. إظهار مناسبة فاتحة السورة مع مضمون السورة التي قبلها في سور الحواميم.
3. إظهار التباين بين آراء المفسرين في ذكر المناسبات بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم، وإظهار مدى توافقهم واختلافهم في ذلك.

أهمية الدراسة، وأسباب اختيارها:

تتبع أهمية هذه الدراسة، وأسباب اختياري لها من خلال الأمور الآتية:

1. كَوْنِ علم المناسبات من العلوم المهمّة التي تكشف عن وجه الإعجاز في ترتيب القرآن ونظمه.
2. وكونه أيضاً طريقاً لمعرفة حكم القرآن ودرره في العلاقات بين السور.
3. تقديم مساهمة متواضعة للمكتبة الإسلامية بهذا الشأن من خلال هذه الدراسة المتخصصة.
4. الرغبة في التعمق أكثر في علم المناسبات وفهمه بطريقة صحيحة.
5. الرغبة في التعرف على العلاقة التي تربط فواتح السور بخواتيم ما قبلها في سور الحواميم.
6. محاولة الكشف عن المناسبة بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها خاصة في سور الحواميم، والذي وُلد هذه الرغبة، وشجعتني لاختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى ما سبق عدم وجود دراسة متخصصة تعالج هذا الموضوع بصورة مستقلة.

منهج الدراسة:

اتَّبَعَت الباحثة في هذه الدراسة المناهج الآتية:

1. المنهج الوصفي التحليلي: ويتمثل في عرض فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم وتفسيرها وتحليلها.
2. المنهج الاستقرائي: عن طريق تَنَبُّع المناسبات بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم وجمعها وإظهار العلاقات بينها.

منهجية البحث:

1. توثيق لكل معلومات البحث، بتتبعها من مصادرها المختصة، ومطابقتها الصحيحة، وتوثيق لكل المراجع بذكر اسم شهرة المؤلف، واسمه الأول، واسم الكتاب، وذكر رقم الطبعة وتاريخ النشر، وما ليس له رقم طبعة أو تاريخ نشر أشير إليه بالرموز الآتية: (د.ط)، (د.ت).
2. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى مواضعها في القرآن الكريم؛ وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية الكريمة بالنص.
3. توثيق المراجع توثيقاً كاملاً عند وروده أول مرة، والاكتفاء بذكر اسم الشهرة للمؤلف واسم المرجع والجزء والصفحة عند وروده مرة أخرى.
4. تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، وبيان حكم العلماء عليها إن كانت في غير الصحيحين.
5. شرح الغريب من المفردات، والغامض من العبارات الواردة في الدراسة، وذلك عن طريق الرجوع إلى معاجم اللغة العربية.
6. الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في الدراسة، والاكتفاء بالتعريف بهم عند أول ذكر لهم.
7. التعريف بشكل عام بسور الحواميم، وبيان مضمونها.
8. عرض فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم وتفسيرها بشكل مجمل.

9. عرض آراء المفسرين -القدامى والمعاصرين- في التناسب بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها في سور الحواميم، والتعليق عليها.

10. إظهار وجوه التناسب الأخرى التي تمّ التوصل إليها بين فواتح السور وخواتيم السور التي قبلها في سور الحواميم.

11. استخلاص النتائج التي تمّ التوصل إليها في الخاتمة، والإشارة إلى بعض التوصيات المهمة.

حدود الدراسة:

تقتصر هذه الدراسة على ذكر أوجه التناسب بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها في سور الحواميم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقراء لِمَا أُلفت حول هذا العلم الجليل وجدت الباحثة بعض الأبحاث والدراسات المتعلقة به، منها:

- دراسة للباحث القاسم، محمد أحمد يوسف، قُدمت لنيل درجة الدكتوراه عام 1399هـ-1979م، من جامعة الأزهر، بعنوان: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره، فكانت الدراسة نظرية تحدّث فيها الباحث عن تاريخ علم المناسبات، وترتيب القرآن الكريم، وأنواع المناسبات، وتحدّث عن الشبهات الواردة على ترتيب القرآن الكريم.

- دراسة للباحث الحمداني، عبد القادر عبد الله فتحي علوش، قُدمت لنيل درجة الدكتوراه عام 1424هـ-2003م، من جامعة الموصل، بعنوان: سور الحواميم: دراسة بلاغية تحليلية، ابتدأ الباحث فيها بتمهيد تضمّن الحديث فيه عن سور الحواميم من حيث أسماؤها، واشتراكها في الابتداء بالحرفين (حم)، وعن البلاغة المعجزة في هذه السور، وعن التحليل البلاغي لآياتها، وعرض ما تضمنته الحواميم من موضوعات مختلفة، وإبرز فنون البلاغة الواردة فيها.

- دراسة للباحث حميدة، طارق مصطفى محمد، قُدِّمَتْ لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة عام 1428هـ-2007م، من جامعة القدس في أبو ديس، فلسطين، بعنوان: التناسب في سورة البقرة، حيث احتوى هذا البحث على تعريف عام بسورة البقرة والتناسب، وعَرَضَ لأوجه التناسب وأنواعه في القرآن، وأوجه التناسب الداخلية والخارجية في سورة البقرة فقط.

- دراسة للباحثة النابلسي، نجلاء رايق عبد العزيز، قُدِّمَتْ لنيل درجة الماجستير عام 1443هـ-2021م، من جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، بعنوان: المناسبات بين خواتيم السور وفواتح السور التي تليها: دراسة تطبيقية في الجزء الثامن والعشرين، حيث احتوى هذا البحث على تعريف بعلم المناسبات وأنواعها في القرآن الكريم، وأظهر مناسبة خواتيم السور وفواتح السور التي تليها في الجزء الثامن والعشرين فقط.

احتوت الدراسات السابقة على مواضيع جليّة ومفيدة في علم المناسبات، وقد أفادت الدراسة في بعض الجوانب؛ إلا أنّ هذه الدراسات لم تطرح موضوع العلاقة بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها بصورةٍ أساسيةٍ ومفصّلة، في حين أنّ هذه الدراسة تميّزت بالتخصص في سور الحواميم من القرآن الكريم وهو ما يُميّزها عن سابقتها.

الفصل الأول

المناسبات: معناها، نشأتها، أهميتها، وموقف العلماء منها

تمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد؛ فإن القرآن الكريم كلام الله تعالى المتفرد بصفات الجمال والكمال، فما من عجب أن تأسرك آياته وحروفه حين تتلوها أو تطرق مسامعك، بل إن الجن لما سمعوه قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ (الجن:1)، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام الله المعجز، فقد تحدى الله جهاذة اللغة والأدب من أهل العربية والفصاحة أن يأتوا بعشر سور، بل أقل من ذلك، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فهو الذي لا يشبع منه العلماء ولا يُخلق مع كثرة الترداد، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي أسراره، ولا يملُّ الباحثون في سبر أعماق علومه حتى تقوم الساعة. وقد كتب العلماء ولا زالوا يكتبون عن القرآن وكل ما يتعلق به، وكلما تقدّمت العلوم وتطورت معارف الإنسانية يجد الباحثون الجديد في القرآن الكريم، وإذا أعادوا النظر فيما كتبه الصالحون من علماء الأمة، وجدوا ما يضيفون إليه حسب معطيات الحضارات المتلاحقة وأثارها في توسيع دائرة المعرفة الإنسانية. ومن هذه العلوم علم "المناسبات" بين آيات القرآن الكريم وسوره، ويأتي هذا الفصل في هذا السياق ليتضمّن معنى المناسبات في اللغة والاصطلاح، ويعرض تاريخ نشأة وتطور علم المناسبات، وأهميته، ويوضّح موقف العلماء منه.

المبحث الأول: معنى "المناسبات" لغةً واصطلاحاً

أولاً: معنى المناسبات لغةً

المناسبات جمعٌ مفردُها المناسبة، وتعني في اللغة: المقاربة والمشاكلة؛ يقال: 'فلان يناسب فلاناً فهو نسيبه"، أي: قريبه، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (الفرقان: 54)، وتقول: 'ليس بينهما مناسبة"، أي: مشاكلة، وَنَسَبْتُ الرَّجُلَ أَنْسَبُهُ بِالضَّمِّ نِسْبَةً وَنَسَبًا، إِذَا ذَكَرْتَ نَسَبَهُ¹.

قال ابن فارس (رَجَمَهُ اللَّهُ): (نَسَبَ): "النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سُمِّيَ لاتصاله وللاتصال به،... والنسب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"². والنسبة: إيقاع التعلق بين الشيئين³، وتستعمل في مقدارين متجانسين بعض التجانس يختص كل واحد منهما بالآخر⁴. يظهر من خلال ما تقدّم أنّ المناسبة في اللغة تعني: المقاربة، والمشاكلة بين شيئين يتصل كل منهما بالآخر.

¹ انظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، (ت:393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت - دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ-1987م)، ج1، ص224.

² ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (ت:395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ-1979م)، ج5، ص423-424.

³ الجرجاني، علي بن محمد، (ت:816هـ): التعريفات، (بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-1983م)، ص241.

⁴ انظر: الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت:502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق بيروت - دار القلم، الدار الشامية، ط1، 1412هـ)، ص801.

ثانياً: معنى المناسبات اصطلاحاً

وردت عدة تعاريف للمناسبة في الاصطلاح عند أهل العلم، منها:

قول أبو بكر بن العربي¹ في المناسبة بأنها: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة البيان"².

أما الزركشي³ فذكر في تعريف المناسبة أنها: "أمرٌ معقولٌ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمها ومرجعها والله أعلم إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي، أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني⁴ كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"⁵.

¹ أبو بكر بن العربي: هو محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، الإشبيلي، المالكي، قاضي من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية، ورحل إلى الشرق، وبرع في الأدب، وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. من مصنفاته: (أحكام القرآن)، و(العواصم والقواصم) وغيرها، مات بقرب فاس سنة 543هـ، ودفن بها. وانظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، (ت: 571هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمري، (دار الفكر للطباعة، 1415 هـ - 1995 م)، رقم: 6571، ج4، ص24. وانظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت: 681هـ): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - دار صادر، د.ط، د.ت)، ج4، ص296.

² ابن العربي، محمد بن عبد الله، (ت: 543هـ): سراج المريدين في سبيل الدين لاستئارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدينية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية، تحقيق: الدكتور عبد الله التوراتي، (طنجة، دار الحديث الكتانية، ط1، 1438هـ-2017م)، ج4، ص144.

³ الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين، تركي الأصل، مصري المولد والوفاء. له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها: البرهان في علوم القرآن، توفي سنة (794هـ). انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت: 1396هـ): الأعلام، (دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج6، ص60.

⁴ الملازمة الذهنية: هي كون الشيء مقتضياً للآخر في الذهن، أي متى ثبت تصور الملازم في الذهن ثبت تصور اللازم فيه، كلزوم البصر للعمى، فإنه كلما ثبت تصور العمى في الذهن ثبت تصور البصر فيه. انظر: الجرجاني: التعريفات، ج1، ص230.

⁵ الزركشي، محمد بن عبد الله، (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان - وينفس ترقيم الصفحات، ط1، 1376هـ-1957م)، ج1، ص35. وانظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): الإقتان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ/1974م)، ج3، ص371.

وعرّفها البقاعي¹ بأنها: "علمٌ تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"².

وعرّفها مناع القطان³ بأنها: "بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"⁴.

بينما عرّفها مصطفى مسلم⁵ بأنها: "الرابطة بين شيئين بأي وجهٍ من الوجوه، وفي كتاب الله سبحانه وتعالى تعني: ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني: وجه الارتباط في كل آية بما قبلها، وما بعدها"⁶.

والذي تراه الباحثة أنّ أنسب التعريفات هو تعريف مصطفى مسلم؛ لأنه يشتمل على ثمرة هذا العلم؛ "وهي الاطلاع على الرتبة التي يستحقها هذا الجزء بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو

¹ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وله عدة مؤلفات منها: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) في سبع مجلدات، و(مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، توفي بدمشق سنة (885هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص56.

² البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت 885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، 1404هـ)، ج1، ص6. البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت 885هـ): مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (الرياض - مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ-1987م)، ج1، ص142.

³ مناع بن خليل القطان: عالم جليل، ولد سنة (1345هـ) في قرية شنشور مركز أشمون من محافظة المنوفية بمصر من أسرة متوسطة الحال، وفي بيئة إسلامية مترابطة، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم في الكتاب، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية، ثم التحق بالمعهد الديني الأزهرى بمدينة شبين الكوم ثم التحق بكلية أصول الدين في القاهرة، وغادر مصر سنة (1953م) إلى المملكة العربية السعودية للتدريس في مدارسها ومعاهدها إلى سنة (1958م)، حيث انتقل للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، ثم كلية اللغة العربية، ثم مديراً للمعهد العالي للقضاء، ثم مديراً للدراسات العليا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وله مؤلفات كثيرة في موضوعات شتى، منها: (تاريخ التشريع الإسلامي)، و(مباحث في علوم القرآن الكريم)، و(نزول القرآن على سبعة أحرف)، توفي سنة (1420هـ) عن عمر يناهز 75 عاماً، ودفن في مقابر النسيم بالرياض. انظر: التعريف بمناع القطان من موقع المكتبة الشاملة، <https://shamela.ws/index.php/author/997>، تاريخ الزيارة: 2022/5/5م.

⁴ القطان، مناع بن خليل، (ت 1420هـ): مباحث في علوم القرآن، (الرياض - مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ-2000م)، ج1، ص96.

⁵ مصطفى مسلم: أستاذ في التفسير وعلوم القرآن، حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر قسم أصول الدين تخصص علوم القرآن، وكان عنوان الرسالة: إعجاز القرآن الكريم، وتم قبول اطروحته في الدكتوراه بدرجة مرتبة شرف عام (2005م)، وعمل أستاذاً مشاركاً للدراسات القرآنية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم أستاذاً بجامعة الشارقة، وهو الآن منقرغ لبجوته الخاصة، ومن مؤلفاته: (مباحث في التفسير الموضوعي)، و(مباحث في إعجاز القرآن). انظر: التعريف بـمصطفى مسلم من موقع المكتبة الشاملة، <https://shamela.ws/index.php/author/1491>، تاريخ الزيارة: 2022/5/5م.

⁶ مسلم، مصطفى، (ت: 1442هـ): مباحث في التفسير الموضوعي، (دمشق - دار القلم، ط4، 1426هـ-2005م)، ص58.

كلمة النسب"¹، كما أنّ هذا التعريف يشمل أنواع المناسبات سواء كانت بين السورة والسورة، أو بين الآيات في السورة الواحدة، أو في الآية الواحدة.

وبناء على ما سبق يمكن القول بأنّ ثمره علم المناسبات تتجلى في أنّه الرابطة الذي يربط بين الآيات والسور بعضها ببعض، حتى يصبح القرآن الكريم كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة المباني.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

من خلال تعريف المناسبة في اللغة والاصطلاح، يتّضح أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين المعنى اللغوي والاصطلاح؛ فكلاهما يعني: أنّ الآية وجارتها شقيقتان -وكذلك السورة مع غيرها-، ويربط بينهما برباطٍ من نوع واحد، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أنّ ذلك لا يعني أن تكون الآيتان أو الآيات متماثلة كلّ التماثل؛ بل ربّما يكون بينها تقابل، أو تباعد في المعنى؛ لكنّ المهم أنّ هناك رابطة ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليها العلماء أم لا، وقد يظهر هذا الاتصال أحياناً، ويخفى أحياناً أخرى؛ وذلك لأن كشف المناسبة بين الآيات يعتمد على القدرة العقلية لدى الباحث، فكلماً كانت قدراته العقلية كبيرة، كلما كانت قدرته في التوصل إلى رابط بين الآيات أكبر، وفي هذا مجالاً لتسابق الأفهام².

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص5.

² انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35. وانظر: حسن، سامي عطا: المناسبات بين الآيات والسور وفوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، (الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، م30، ع1، 2003م)، ص12.

المبحث الثاني: نشأة وتطور علم "المناسبات"

يُعدُّ الكشف عن تاريخ العلوم من حيث: نشأتها، وتطورها، والمراحل التي مرَّت بها، من الأمور المهمة في فهم هذه العلوم وتصورها واستيعابها، ومعرفة الظروف التي أحاطت بها، وأثَّرت فيها.

ومن علوم القرآن التي تلقى اهتماماً كبيراً في هذا العصر: "علم المناسبات" بين آيات القرآن وسوره، وقد قسمت نشأة هذا العلم على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: [من عهد الصحابة والتابعين - القرن العاشر]: إنَّ نشأة علم المناسبات كانت منذ جيل الصحابة والتابعين، وهذا دليلٌ على وجود هذا العلم بينهم، واعتمادهم هذا العلم في فهم آيات القرآن الكريم، حيث ذكر البقاعي في كتابه (مساعد النظر) فقال: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشرية، ولطيف أساليب النوازع العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون".¹

ومن ذلك حديث جابر بن عبد الله² (رضي الله عنه) يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ بِأُذُنِي هَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنِيهِ: "يُخْرِجُ اللَّهُ قَوْمًا مِنَ النَّارِ فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ"، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فِي حَدِيثِ عَمْرٍو إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (المائدة: 37)، فَقَالَ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: إِنَّكُمْ تَجْعَلُونَ الْخَاصَّ عَامًا هَذِهِ لِلْكَفَّارِ أَقْرَبُوا مَا قَبَلَهَا ثُمَّ تَلَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ

¹ البقاعي: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج1، ص155.

² جابر بن عبد الله بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة، صحابي جليل، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدرًا، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أحد، وغزا مع رسول الله (17 غزوة)، وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، توفي سنة 74هـ، وقيل سنة 77هـ، وصلى عليه أبان بن عثمان وكان أمير المدينة، وكان عمر جابر رضي الله عنه 94 سنة. انظر: ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، (ت: 630هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت - دار الفكر، 1409هـ - 1989م)، رقم: 647، ج1، ص307.

الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ (المائدة: 36-37) هذه للكفار¹.

ومن خلال هذا الحديث نلاحظ أنّ جابر بن عبد الله ردّ على احتجاج القوم بأنّه ليس في محله، لأنّ الآية التي ذكروها هي بحقّ الكفار عامّةً بدليل الآية التي قبلها. أمّا الحديث الذي ذكره فإنّه خاص بفئة من الناس يدخلون النار ثمّ يخرجون منها وهم على الأغلب (عصاة المؤمنين)، وهذا يظهر مدى إدراك السلف أنّ السياق ومعرفة السابق واللاحق ضروريّ لفهم معنى الآية، وهذا لبّ علم المناسبات وجوهره كما عرّفه البقاعي.

وروي أيضاً أنّ أعرابياً، لم يكن يقرأ القرآن، سمع قارئاً يقرأ آية: ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: 209)، فأبدله القارئ بأن قال: (غفورٌ رحيمٌ)، فقال الأعرابي مصوّباً:
" إنّ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزل؛ لأنّه إغراءٌ عليه"².

فالكلام عن المناسبات في هذه البداية³ كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير عموماً، ولكنّه لم يأخذ هيئةً جامعةً، واضحةً المعالم.

ثمّ بدأ علم المناسبات في الظهور، حيث أوردت بعض كتب علوم القرآن الكريم، أنّه لم يحمل لنا خبراً عن نشأة علم المناسبات القرآنية قبل نهاية القرن الثالث الهجري، وهذا خلاف ما ذكر بأنّ علم المناسبات بدأ في

¹ ابن حبان، محمد، (ت: 354هـ): الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت - مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ-1988م)، كتاب: إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة أجمعين، باب: صفة النار وأهلها، ، رقم: 7483، ج16، ص526. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إسحاق بن موسى الأنصاري، فمن رجال مسلم.

² انظر: الرازي، محمد بن عمر، (ت: 606هـ): مفاتيح الغيب =التفسير الكبير، (بيروت - دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ)، ج5، ص356.

³ أي: الفترة الأولى من هذه المرحلة.

عهد الصحابة والتابعين؛ إلا أنّ بداية التصريح بهذا العلم كانت في بغداد في القرن الثالث على يد أبي بكر النيسابوري¹، وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الشهرستاني²: "أول من أظهر ببغداد علم المناسبة - ولم نكن سمعناه من غيره- هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة"³.

ويبدو أنّ أبا بكر النيسابوري -الذي يقال أنّه أول من تكلم في هذا العلم- لم يتأت له هذا العلم من جهة الابتكار أو الاكتشاف؛ وإنما وجد نماذج اقتدى بها ونسج على منوالها؛ فهذه الأولوية إذن يمكن حملها على أولوية من أظهره ببغداد⁴.

وقد سبق الإمام محمد بن جرير الطبري⁵ تضمينه ذلك في تفسيره، وهو أول التفسير التي وصلت إلينا بشكل تام؛ لذا تجد فيه إشارات مهمة في المناسبات القرآنية، ومن جوانب اهتمامه بالمناسبة القرآنية، ما ذكره عند

¹ أبو بكر النيسابوري: هو عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل الحافظ الفقيه الشافعي مولى آل عثمان بن عفان، سمع أبا إبراهيم المزني المصريين وأبا رزعة الرازي، كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، من أحفظ الناس للفتاوى، توفي سنة (324هـ). انظر: الحاكم، محمد بن عبد الله، (ت: 405هـ): تاريخ نيسابور، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن المعروف بالخليفة النيسابوري، (طهران-كتابخانه ابن سينا، د.ط، د.ت)، ص 66، رقم: 1328. وانظر: الصفي، صلاح الدين، (ت: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤووط وتركي مصطفى، (بيروت- دار إحياء التراث، د.ط، 1420هـ-2000م)، ج 17، ص 260.

² أبو الحسن الشهرستاني، علي بن محمد بن وضاح: نزيل بغداد، الفقيه، المحدث، النحوي، الكاتب، الزاهد، كمال الدين، عُني بالحديث، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه الحسن، وسمع الكتب الكبار، وتفقّه، وبرع في العربية، وشارك في فنون من العلم، وصحب الصالحين، وتوفي سنة: 672هـ، وكانت جنازته مشهورة. انظر: ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، (ت: 884هـ): المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (السعودية- الرياض- مكتبة الرشد، ط1، 1410هـ - 1990م)، رقم: 760، ج 2، ص 261-262. وانظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان/ صيدا-المكتبة العصرية، د.ط، د.ت)، رقم: 1785، ج 2، ص 200.

³ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 36.

⁴ انظر: ابن عبد الحميد، أحمد بن محمد: المناسبات في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري: جمعا ودراسة نقدية مقارنة: من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، إشراف: صلاح الدين عوض، (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، 2012م)، ص 17. وانظر: الأنيس، عبد الحكيم: أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، (المجلة الأحمدية- دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، ع 11، جمادى الأولى 1423هـ-تموز 2002م)، ص 40.

⁵ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد: الإمام العلم المجتهد، صاحب التصانيف المشهورة، وأهمها تفسيره جامع البيان، من أهل أمل بطبرستان، عاش في بغداد، وتوفي سنة 310هـ. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، (ت: 748هـ): سير أعلام النبلاء، (القاهرة -دار الحديث، د.ط، 1427هـ-2006م)، رقم: 2694، ج 11، ص 165.

تفسير قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 153)، حيث بيّن وجه ارتباط الآية بما سبقها من الآيات، حيث يقول: "وهذه الآية

حُضُّ من الله تعالى على طاعته، واحتمال مكروهاها على الأبدان والأموال، فقال: "يا أيها الذين آمنوا استعينوا

بالصبر والصلاة" على القيام بطاعتي، وأداء فرائضي في ناسخ أحكامي، والانصراف عما أنسخه منها إلى

الذي أحدثه لكم من فرائضي، وأنقلكم إليه من أحكامي، والتسليم لأمري فيما أمركم به في حين ألزمتكم حكمه،

والتحول عنه بعد تحويري إياكم عنه، وإن لحقكم في ذلك مكروهٌ من مقالة أعدائكم من الكفار بقذفهم لكم

بالباطل"¹.

وهذا يبيّن اهتمام الإمام الطبري رحمه الله بإظهار المناسبة وإن كانت خفية، فهي تظهر قوة استنباطه، وعلو

مكانته في هذا الفن.

ثمّ برز هذا الفن أكثر مع الإمام الزمخشري²، وذلك لعنايته في تفسيره بالجانب البلاغي في القرآن الكريم،

واهتمامه بنظرية النظم القرآني التي أقرّها عبد القاهر الجرجاني³، وعدم إغفاله الجانب العقلي في التفسير؛

ولذلك نجد تفسيره قد احتوى على المناسبة والنظر في الربط بين الآيات، ومن ذلك: بيانه المناسبة بين السؤال

والجواب في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 215)، حيث قال: "قد تضمن

¹ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت:310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م)، ج3، ص213.

² الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي: العلامة المفسر النحوي، صاحب الكشاف ومصنفات عدة، كبير المعتزلة، ولد في زمخشر، سافر إلى مكة وجاور بها مدة من الزمن فلقب بجار الله، توفي سنة 538هـ. انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 4891، ج15، ص17.

³ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، له مصنفات عدة؛ منها: (أسرار البلاغة)، و(دلائل الإعجاز) وغيرها، توفي سنة (471هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج4، ص48.

قوله: {ما أنفقتم من خيرٍ} بيان ما ينفقونه وهو كل خير، وقد بنى الكلام على ما هو أهم وهو بيان المصروف، لأنَّ النفقة لا يُعتدُّ بها إلا أن تقع موقعها¹.

إلا أن العناية بعلم المناسبات لم ترتق بعدُ إلى الوجه المأمول، حيث شكَا ذلك أبو بكر بن العربي في كتابه (سراج المريدين) قائلاً: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة البيان، علمٌ عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل منه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلمَّا لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخلق بأوصاف البَطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"².

والحال في هذه الفترة الثانية من هذه المرحلة أنَّ الكلام عن المناسبات أخذ صورة واضحة المعالم، ولكن لم يدوّن تدويناً جامعاً مستقلاً، بل كان على شكل شذرات متفرقة هنا وهناك، كما قال الرازي رحمه الله: "أني رأيتُ جُمُهورَ المُفسِّرين مُعرضين عن هذه اللطائف غير مُتنبِّهين لهذه الأمور، ولَيْسَ الأمرُ في هذا الباب كما قيل: وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَتَهُ ... وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصِّعْرِ"³.

ثم أتى - علم التفسير - الإمام الرازي⁴، فعمل على إبراز هذا العلم؛ ولا سيما إيراد المناسبات بين الآيات في تفسيره المسمى "بمفاتيح الغيب"⁵، فكان لا يكتفي بذكر مناسبة واحدة بل كثيراً ما يذكر أكثر من مناسبة⁶.

ويمثّل كتابه هذا بداية الفترة الثالثة من هذه المرحلة، حيث أخذ هذا العلم صورةً مستقلةً جامعة، ثم بعده ظهرت كتبٌ تفسير تعنتي بإبراز المناسبات في جميع سور القرآن العظيم، ومن ذلك:

¹ الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت: 538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت - دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ)، ج1، ص257.

² ابن العربي: سراج المريدين في سبيل الدين، ج4، ص144-145.

³ الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج7، ص106-107.

⁴ فخر الدين الرازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، الإمام المفسر صاحب تفسير: مفاتيح الغيب، أصله من طبرستان، ولد في الريّ وليها نسبته، وكان يقال لأبيه: خطيب الريّ، فسمي ابن خطيب الريّ، توفي سنة (606هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص313.

⁵ انظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص67.

⁶ انظر: الذهبي، محمد حسين، (ت: 1398هـ): التفسير والمفسرون، (القاهرة، مكتبة وهبة، 2000م)، ج1، ص209.

- كتاب "مفتاح الباب المقفل على فهم القرآن المنزل"، لأبي الحسن الحرالي المغربي¹، والذي حوى جمعاً كبيراً من المناسبات بين السور والآيات، وقد ذكر بعض العلماء أنَّ جُلَّ اعتماد البقاعي في كتابه "نظم الدرر" عليه².

- وكتاب "البرهان في تناسب سور القرآن"³ لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي⁴، والذي يُعدُّ أول تأليفٍ خاصٍ بعلم المناسبات، فكان كتابه أول كتاب في هذا الباب، وهو كتاب ثمين، حيث قال في بدايته: "وإني تأملتُ -بفضل الله- وجوهَ ارتباطه، وتلاحمَ سوره وآياته، إلى ما يلتحم مع هذا القبيل من عجائب شواهد التنزيل، فعلقتُ في ذلك ما قدر لي، ثمَّ قطعت بي قواطع الأيام عن تتميم رومي من ذلك وعملي، فاقتصرْتُ -بحكم الاضطرار في هذا الاختصار- على توجيه ترتيب السور، وإن لم أر في هذا الضرب شيئاً لمن تقدّم وغبر، وإنما بدر لبعضهم توجيهَ ارتباط آياتٍ في مواضعٍ مفترقات، وذلك في الباب أوضح، ومجال الكلام فيه أفسح. أما تعلق السور على ما ترتّب في الإمام، واتقق عليه الصحابة الأعلام، فمما لم يتعرض له فيما أعلم، ولا قرع أحد هذا الباب ممن تأخّر أو تقدّم، فإن صلّى أحد بعد فهذه الإقامة، أو أتمّ فمرتبط حتماً بهذه الإمامة"⁵.

¹ الحرالي، أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي: هو العلامة المتغن، وينسب إلى قرية من أعمال مرسية تسمى "حرالة"، أخذ النحو عن ابن خروف، ولقي العلماء، وجال في البلاد، ولهج بالعقليات، وأقام بحماة ووعظ بها، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحسنی، وفي التفسير، وتوفي بحماة سنة (637هـ). انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، رقم: 33، ج 23، ص 47. وانظر: الذهبي، محمد بن أحمد، (ت: 748هـ): تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط 1، 2003م)، رقم: 488، ج 14، ص 245.

² أمثال: المناوي. انظر: المناوي، عبد الرؤوف، (ت: 1031هـ): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، (المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، 2004م)، ج 2، ص 465.

³ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 35. انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج 3، ص 369.

⁴ ابن الزبير الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي أبو جعفر: محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، كان نحوياً، حافظاً، علامة، أستاذ القراء، ثقة، عمدة، مات بغرناطة سنة (708هـ) عن 80 سنة. انظر: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد، (ت: 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (دمشق -بيروت، دار ابن كثير، ط 1، 1406هـ-1986م)، ج 8، ص 31. وانظر: الزركلي: الأعلام، ج 1، ص 86.

⁵ ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت: 708هـ): البرهان في تناسب سور القرآن، دراسة وتحقيق: أحمد شعباني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -المغرب، د.ط، 1410هـ-1990م)، ج 1، ص 180-181.

والذي يظهر للباحثة أنّ ابن الزبير يُبيّن المناسبة بين السورتين، ثم يربط بين مقاطعها¹.

وقد تأثّر بمنهجه في علم التفسير تلاميذه (ابن جُرَيّ²، وأبو حَيَّان الأندلسي³) في تفسيرهما، وإن كان هذا ظاهراً أكثر في تفسير أبي حيان (البحر المحيط)، حيث أشار في خطبة كتابه إلى اهتمامه بالمناسبة، وأبان عن طريقته في التفسير⁴.

ثمّ توالى بعد ذلك⁵ الكلام عن المناسبات وتضمينها في كتب علوم القرآن، ويعتبر الإمام الزركشي من أوائل من تكلم في هذا العلم؛ فلقد أفرد له باباً في كتابه: "البرهان في علوم القرآن" تحت عنوان: "معرفة المناسبات بين الآيات" تعقب فيه هذا العلم الجليل من جهة التعريف، والنشأة، والمصادر، ومن كتب فيه، ثم أطل النفس في عرض أمثلة على المناسبات القرآنية بين السور المتجاورة، وبين الآيات في السورة الواحدة⁶.

ثمّ بزغ علم المناسبات مع شيخها برهان الدين البقاعي⁷، الذي بنى تفسيره المسمى "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" على المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره، والذي يعد أوسع مصادر هذا العلم ذكراً للمناسبات القرآنية بين آيات القرآن الكريم سورة سورة⁸، إذ لم يسبقه إليه أحد في مادته بعلم المناسبات، وكذلك من أتى بعده والله أعلم، كما أشار إلى ذلك في خطبة كتابه⁹.

¹ انظر مثال ذلك: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ج1، ص355.

² ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة، من كتبه "القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية"، و"تقريب الوصول إلى علم الأصول" وغيرها، توفي سنة (741هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج5، ص325.

³ أبو حَيَّان الأندلسي، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي الجياني: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات، صاحب مصنفات عدة، منها: تفسيره البحر المحيط، توفي بالقاهرة سنة (745هـ). انظر: الزركلي، الأعلام، ج7، ص152.

⁴ انظر: أبو حَيَّان، محمد بن يوسف، (ت: 745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت - دار الفكر، د.ط، 1420هـ)، ج1، ص12.

⁵ أي: في الفترة الرابعة والأخيرة من هذه المرحلة.

⁶ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35.

⁷ البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن برهان الدين: مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وله عدة مؤلفات منها: (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) في سبع مجلدات، و(مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور)، توفي بدمشق سنة (885هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص56.

⁸ انظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص67.

⁹ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص2.

وإن كان لعلم المناسبات ظهوراً لمن سبق؛ فإن الإمام السيوطي¹ كان له جهدٌ كبيرٌ ومتميّزٌ في هذا الفن، فلا يشك أحدٌ في علو هذا الإمام في هذا الباب، فلقد صنّف ثلاثة كتب خاصة فيه منها: كتاب "تناسق الدرر في تناسب السور"، كما كتب في علم المناسبات والمقاصد القرآنية كتاباً آخر سماه "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع". ولم يكتب السيوطي بالكتب سألقة الذكر؛ بل إنه خصص النوع الثاني والستين من كتابه "الإتقان في علوم القرآن" للحديث عن "مناسبات الآيات والسور" ذكر فيه أغلب ما ذكره الزركشي في البرهان، وزاد عليه في الأمثلة²، لذا تعد كتبه المصنّفة مرجعاً في علم المناسبات.

- المرحلة الثانية: وهذه المرحلة هي ما بعد القرن العاشر، فإن كان السبق للمتقدّمين في هذا العلم، فلقد تميّزت هذه الفترة بظهور تفاسير تحتوي على المناسبات القرآنية بأنواعها، وكذلك كتب مستقلة في المناسبة بين الآي والسور، وإسهامات مباركة، وجهود واضحة، أضفت فكراً متمماً لهذا الباب، ومن ذلك:

- تفسير (روح المعاني) للإمام الألويسي³، فقد تميّز تفسيره رحمه الله بذكر المناسبات بشكلٍ جليّ، وهذا واضحٌ في جميع تفسيره.

- وتفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب⁴، فهو ممّن توسّع في دراسة التناسب في النظم القرآني، حيث برزت المناسبة في كتابه في تركيب الصورة البيانية، كذلك في إبراز الوحدة الموضوعية في سور القرآن.

¹ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر ابن سابق الدين الخضير، جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب، صاحب مصنفات كثيرة بلغت نحو 600 مصنف، توفي سنة (911هـ). انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت:1067هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمد عبد القادر الأرنؤوط، (استانبول -منظمة المؤتمر الإسلامي، د.ط، 2010م)، ج2، ص248. وانظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص301.

² انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج3، ص371.

³ الألويسي: هو محمود شهاب الدين الألويسي، أبو التثاء الحسيني، محدث وفقه وشاعر، له مصنفات منها: (تفسير إرشاد العقل السليم)، توفي سنة (1270هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج7، ص176.

⁴ سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي وأديب مصري، له مصنفات عدة ومن أشهرها: (تفسير في ظلال القرآن)، توفي سنة (1387هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص147.

وفي العصر الحديث اهتم مجموعة من العلماء المعاصرين بهذا العلم، وأفردوا كتباً مستقلة فيه، وخصوصاً في المناسبات بين السور منهم: الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري¹، فقد كتب كتاباً مستقلاً سمّاه "جواهر البيان في تناسب سور القرآن" تابع فيه جهود من قبله، وأبان فيه مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض بحسب ترتيبها في المصحف الشريف². والدكتور فاضل صالح السامرائي³ كتب كتاباً سمّاه: "التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم" خصّصه للحديث عن قسمين من أقسام التناسب في القرآن وهما: التناسب بين مفتاح السورة وخواتمها، والتناسب بين خاتمة السورة ومفتاح السورة التي تليها⁴.

ولم يزل البحث والتأليف في هذا العلم يأخذ طابعا جديداً، حيث أَلَّفَ الدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني⁵ كتابه: (إمعان النظر في نظام الآي والسور) تكلم فيه عن النظم في القرآن الكريم مستفيداً من المعلم عبد الحميد الفراهي الهندي، تجليةً لفكرة نظام الآيات ورباطها، وكذلك أَلَّفَ محمد طاهر⁶ كتابه: (سمط الدرر في ربط الآيات والسور وخلصتها المختصر لمن أراد أن يتذكر أو يتدبر)، ذكر فيه نماذج من مقاصد الآيات والسور، وغيرها من الكتب المؤلفة في هذا العلم الجليل.

¹ الغماري، عبد الله بن محمد الصديق الحسني الطنجي: فقيه صوفي المذهب، عالمٌ بالحديث والتفسير واللغة، له عدة مصنفات جاوزت 60 مصنفًا منها: (جواهر البيان في تناسب سور القرآن، وكتاب الإبتهاج في تخريج أحاديث المنهاج)، توفي سنة (1413هـ).
انظر: أباطة، نزار والمالح، محمد رياض: إتمام الأعلام (ذيل كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، (بيروت - دار صادر، ط1، 1999م)، ص172.

² انظر: الغماري، عبد الله بن محمد، (ت: 1413هـ): جواهر البيان في تناسب سور القرآن، (مصر - مكتبة القاهرة، ط1، د.ت)، ص2-3.
³ السامرائي: هو فاضل بن صالح بن مهدي البدري من عشيرة البدري، وهي عشيرة من عشائر سامراء في العراق، يُكنى بأبي محمد، وُلد في سامراء في العراق عام 1933م، تعلّم القرآن الكريم منذ صغره في مسجد حسن باشا في سامراء، فساعده ذكاؤه وفطنته على تعلّم القرآن في فترة وجيزة. درس الدكتور السامرائي المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية أيضًا في مدينته سامراء في العراق، وهو اليوم أستاذ محاضر في جامعة الشارقة لمادة النحو والتعبير القرآني، ومن مؤلفاته: (كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وأسرار البيان في التعبير القرآني).
انظر: نبذة عن حياة الدكتور فاضل صالح السامرائي، <http://www.islamiyyat.com>، تاريخ الزيارة: 2022/5/16م.

⁴ انظر: السامرائي، فاضل بن صالح: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، (دار ابن كثير، ط2، 1439هـ-2018م)، ص8.
⁵ محمد عناية الله أسد سبحاني: هو من رواد الفكر الإسلامي والقرآني في الهند، وعنده اهتمام شديد بفكرة النظام في القرآن، فهو يجلي نظام السور بحيث ترتبط الآيات كلها، آخذة بعضها بأعناق بعض. ويفسّر السورة بحيث يكون لها عمود، أو مركز تدور حوله السورة كلها بمحتوياتها، وله جولات وصلوات في مجالات متعددة، فهو داعية، ومفكر، ومفسر، وأصولي، وفقهه. وهو صاحب مؤلفات قيّمة باللغتين: العربية والأردية، ومن مؤلفاته القيّمة باللغة العربية: (إمعان النظر في نظام الآي والسور). انظر: الموقع الرسمي للدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني، <https://www.drsubhani.com/seerah>، تاريخ الزيارة: 2022/5/16م.

⁶ لم أجد له ترجمة.

المبحث الثالث: أهمية علم "المناسبات"

يعد علم المناسبات من العلوم الهامة التي تخدم كتاب الله؛ فهو من الأسباب المعينة على فهم كلام الله تعالى؛ ففي كثير من الأحيان تكون المناسبات مفتاحاً لمعرفة حُكْم، أو لمعرفة مراد الله تعالى من هذه الآيات؛ لأن بعض الأحكام والمعاني لا تظهر إلا بربط الآيات بعضها ببعض والكشف عن المناسبة بينها، كما أنّ المناسبات تُعين على عدم الوقوع في الخطأ واللئس في فهم مراد الله تعالى من الآيات القرآنية، لذا لا يستغني عنه أي دارسٍ للقرآن الكريم ولا أي باحثٍ في علوم التفسير؛ فهو علم جليل القدر عظيم الفائدة والخير.

وتكمن أهمية علم المناسبات في أمورٍ عدّة، أبرزها¹:

1. ربط أجزاء الكلام بعضه ببعض بحيث يظهر كسبيكة واحدة أو كعقد منظوم، فإن هذا العلم يعين على إدراك اتساق المعاني بين الآيات، ويظهر ترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، وفي هذا يقول الإمام الزركشي: "وفائدته: جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"². كما ويعين على استيفاء معنى الآية، وترجيح بعض المعاني على بعض عند تزاحمها.

2. ترسيخ الإيمان وزيادته، فإن القارئ لكتاب الله كلما تأمل في هذه المناسبات سيظهر له من الأسرار ما يزيد إيمانه ويأخذ بلبه، فقد نجد الآية المدنية في السورة المكية، أو قد يكون بين الآية والآية التي تليها فاصل زمني يصل لسنوات ومع ذلك لا يظهر ذلك الفاصل الزمني ويأتي علم المناسبات فيظهر مدى

¹ انظر: عمر، محمود حسن: المناسبة في القرآن الكريم، إشراف: د. محمود شرف الدين، (1437هـ-2016م)، ص23. وانظر: الشطيبي، عبد العزيز بن عتق: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ولبه تحقيق كتاب حور العين في تبیین حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد سنة 928هـ)، (جدة - مكتبة الشنقيطي، 1442هـ)، ص25.

² الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

ترابطهما وتقاربهما مما يزيد الإيمان بعظمة القرآن وعظمة مُنزلِهِ، وفي هذا يقول الإمام البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب، ويتمكن من اللب.."¹.

3. إظهار أوجه إعجاز القرآن البياني، والبلاغي؛ فهذا العلم يعتبر من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى دقة فهم لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظمه، وبيان المعجز، ليُظهر هذا الجانب، فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها. والقرآن الكريم يمكن أن يجمع بين الفنون المختلفة في سورة واحدة، في تنسيق بديع، يصل بها إلى الذروة في الإعجاز البلاغي، والإحكام البياني، وروعة الأسلوب، قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ وَتُرُفُّصَلَّتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ (هود: 1)، فالجمع بينها وإبراز وحدتها الموضوعية يُعدُّ خدمةً للقرآن الكريم، وإظهاراً لإعجازه، وتعطيل ذلك يعطل باباً من الفهم والتدبر لكتاب الله.

قال الشيخ أبو بكر النيسابوري: "إنَّ إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيباً وتماسكاً"².

4. معرفة أسرار ترتيب السور ولطائف ترتيب الآيات وأسباب تسمية السور وكثير من الأمور التي لا يتعرض لها التفسير التحليلي، وهو أمر اجتهادي لكن لا بُدَّ من الحذر من التكلف فيه. قال الإمام الفخر الرازي: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"³.

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص10-12.

² عرفة، بسيوني: الفصل والوصل، (القاهرة - مكتبة الرسالة، د.ط، د.ت)، ص39. وإلى هذا المعنى أشار الإمام الرازي في تفسير سورة البقرة بقوله: "ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أنَّ القرآن كما أنَّه مُعجَزٌ بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً مُعجَزٌ بحسب ترتيبه ونظم آياته". انظر: الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج7، ص106. والذي تراه الباحثة: أن كلام الإمام الرازي حول اعتباره لعلم المناسبات وجه من وجوه الكشف عن إعجاز القرآن أمر غير مسلم، لأن هذا العلم اجتهادي قابل للصواب والخطأ.

³ الرازي: مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، ج10، ص110.

5. معرفة بعض أسرار تكرار القصص واختلاف صياغتها من سورة لأخرى؛ حيث أنّ القصة تُذكر في السورة لتخدم هدفها ومقصود تلك السورة بعينها، وتسلط الضوء على جوانب وزوايا مختلفة عن السورة الأخرى، وفي هذا يقول الإمام البقاعي: "وبه تتبين لك أسرار القصص المكررات، وأنّ كل سورة أُعيدت فيها قصة فلمعنى أدعى في تلك السورة استدلت عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقف له في السورة الثانية السابقة، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم، والإيجاز والتطويل، مع أنّه لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة، وعلى قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها"¹.

6. طَلَبُ المناسباتِ فيه تحصيلٌ للأجر والثوابِ من الله عزَّ وجل، إذ تحصل فيه قراءة القرآن العظيم، فيحصل أجر قراءة القرآن العظيم. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"².

7. يُساعدُ على بناءِ العقلِ المسلم من خلال تقوية ملكة الاستنباط والتركيب والتحليل فيه، فدوام تدبُّر القرآن الكريم، ومحاولة الكشف عن أسراره ومعانيه، ومنها المناسبات بين الآيات والسور، يعوّد العقل المسلم ويمرّنه وبينه ليصبح الاستنباط والتحليل جزءاً من طريقته في العمل والفهم والنظر للأمور في حياته كُلِّها، وكلُّ ما يحتاجه المسلم هو إمعان النظر والتدبُّر وتسليم نفسه للقرآن الكريم ويمرّنه ويدرّبه ليصبح عقلاً فعّالاً قادراً على الإنتاج المعرفي، ومؤهلاً للعب دور الشهود الحضاري على الأمم والذي رَشَّح الله

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص8.

² الترمذي، محمد بن عيسى، (ت:279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، (شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ - 1975م)، أبواب فضائل القرآن: باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له، رقم: 2910، ج5، ص175. والحديث قال عنه الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ". انظر: إلى تعليق المحققين في سنن الترمذي، ج5، ص175. وصححه محقق جامع الأصول والألباني في صحيح سنن الترمذي. انظر: ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد (ت:606هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون، (مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط1، 1392هـ - 1972م)، رقم: 6282، ج8، ص498، وانظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): صحيح وضعيف سنن الترمذي، (الإسكندرية، برنامج منظومة التحقيقات الحديثية المجاني من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د.ط، د.ت)، رقم: 2910، ج6، ص410.

عز وجل هذه الأمة ببركة هذا القرآن المنزّل عليها لتؤديه بين الأمة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: 143).

8. يساعد على فهم مراد الله في كتابه، وعدم الوقوع في اللبس أو الخطأ أو التأويلات المغالى فيها؛ وفي هذا يقول الدكتور صلاح الخالدي¹ رحمه الله: "استند كثير من القدامى والمعاصرين على هذا الجزء من قوله تعالى على لسان العزيز: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يوسف: 28) في القول بأن ذلك تقرير إلهي أنّ كيد النساء عظيم؛ حيث غفلوا عن أنّ القائل هو العزيز، وكون القرآن أورد قوله لا يعني بالضرورة موافقته عليه، فضلاً عن أنّ هذا القول من العزيز دليل على ضعف شخصيته وعجزه أمام انحراف زوجته"².

9. علم المناسبة يكشف أهمية الأمور وقدرها؛ وقد مثل الدكتور طارق مصطفى لذلك بقوله: "معرفة سر اقتران طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين؛ إذ جاء تالياً للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن"³.

¹ صلاح عبد الفتاح الخالدي: هو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين / جامعة البلقاء التطبيقية، ولد في مدينة جنين في (1947/12/1م) الموافق (18/محرم/1367هـ)، وبدأ طلب علم الشرعي بحصوله على بعثة للأزهر سنة 1965م، وهناك أخذ الشيخ الثانوية الأزهرية، ثم دخل الكلية الشريعة وتخرج منها سنة 1970م، ثم درس الشيخ الماجستير سنة 1977م في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وكانت الرسالة التي قدمها الشيخ بعنوان: (سيد قطب والتصوير الفني في القرآن)، ثم حصل الشيخ على الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن سنة 1984م من الجامعة نفسها، وكانت الأطروحة بعنوان: (في ظلال القرآن - دراسة وتقويم)، وقد كان للشيخ اهتمام واضح بسيد قطب وكتبه، ومن مؤلفاته: كتاب (سيد قطب الشهيد الحي) وهو أول كتبه، وطبع سنة 1981م، وكتاب (القرآن ونقض مطاعن الرهبان) وطبع سنة 2007م، توفي يوم الجمعة الموافق 28 يناير 2022م في مدينة عمان، إثر إصابته بفيروس كورونا. انظر: التعريف بصلاح الخالدي من موقع المكتبة الشاملة، <https://shamela.ws/index.php/author/1200>، تاريخ الزيارة: 2022/6/20م.

² الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (ت: 1443هـ): القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق - دار القلم، بيروت - الدار الشامية، ط1، 1419هـ-1998م)، ج2، ص127.

³ حميدة، طارق مصطفى محمد: التناسب في سورة البقرة، إشراف: د. حاتم جلال التميمي، (جامعة القدس، د.ط، 1428هـ-2007م)، ص41.

10. أنه يفيد في معرفة أسرار التشريع، وحكم الأحكام وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة؛ فإذا

قرأت قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى

لَهُمْ﴾ (النور:30)¹، وتعرفت على المناسبة بين الأمر بغض البصر وحفظ الفرج علمت ما بينهما من

التلازم والتلاؤم؛ فحفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزل قدمه

في الآثام.

11. يُعدُّ أحد أهم ركائز علم (التفسير الموضوعي)؛ بل هو صلبه.

12. يُعدُّ من العلوم التي تخدم الباحثين في الرد على المشككين في ترابط آيات القرآن وسوره.

¹ ذكره: الخضيرى، محمد بن عبد العزيز: (علم المناسبات في القرآن)، <https://alkhaderi.com>، تاريخ النشر: 2014/8/25م، تاريخ

الزيارة: 2022/6/15م.

المبحث الرابع: موقف العلماء من علم "المناسبات"

بعد تأمل ما كتبه العلماء حول تطلب المناسبات سواء بين آيات القرآن الكريم أو سوره، يظهر في المسألة قولان¹:

القول الأول: وهو قول جمهور العلماء وأهل التفسير الذين أثبتوا علم المناسبات، ورأوا أنه علمٌ به أنواع وأقسام، وقد قلَّ اعتناء المفسرين به لدقته²، قال أبو بكر بن العربي في (سراج المريدين): "ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني، منتظمة البيان، علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد، عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حمله، ورأينا الخلق بأوصاف البطلة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"³.

وقال الرازي في (التفسير الكبير): "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"⁴.

وقال العز بن عبد السلام⁵: "من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض؛ ويتشبه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعاً متبرأ"⁶.

ونذكر الزركشي عن شيخه ولي الدين الملوي⁷ قوله: "والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها، أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها؟ ففي ذلك علم جم، وهكذا في

¹ انظر: سليمان، طارق يوسف إسماعيل: آراء العلماء في تطلب المناسبات بين السور والآيات، (بحث منشور في المجلة العربية للنشر العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع12، 2-10-2019م)، ص15-18.

² انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص369، وانظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): معترك الأقران في إعجاز القرآن، (بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1988م)، ج1، ص43.

³ ابن العربي: سراج المريدين في سبيل الدين، ج4، ص144-145.

⁴ الرازي: التفسير الكبير، ج10، ص110.

⁵ ابن عبد السلام: هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، له مصنغات عدّة، ومن أشهرها: التفسير الكبير، توفي سنة (660هـ)، انظر: الزركلي: الأعلام، ج4، ص21.

⁶ انظر: ابن عبد السلام، عبد العزيز، (ت: 660هـ): الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، المدينة المنورة- المكتبة العلمية، دط، دت، ص278.

⁷ ولي الدين الملوي: هو الأمام العالم العلامة محمد بن أحمد بن إبراهيم الديباجي المعروف بالمنفلوطي، الشيخ ولي الدين الملوي الشافعي، كان فاضلاً متواضعاً جداً، قليل التكلف، كثير الإنصاف ولو على نفسه، خبيراً بدينه ودنياه، عارفاً بالتفسير والفقّه والأصلين والتصوف،

السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها، وما سيقته له"¹. ثم تمَّ قائلاً: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها، ثمَّ هو يخفي تارة ويظهر أخرى"².

وينضم إليهم -من العلماء المتأخرين- الشيخ عبد الحميد الفراهي الهندي³، حيث يُعتبر ممَّن أثبتوا المناسبة القرآنية؛ إلا أنَّه جعل المناسبات القرآنية جزءاً من (النظام)، وهذا استنباط من الشيخ عبد الحميد الفراهي سمَّاه (علم النظام)، حيث إنَّه يعتبر أنَّ ما قاله العلماء في المناسبة غير كافٍ ولا مستوفٍ، وأنَّ اهتمامهم كان منحصرًا في المناسبة التي ينتظم بها الكلام من أوله إلى آخره حتى يصير شيئاً واحداً، ولم ينظروا إلى أمر عام ينتظم به محتوى الآية أو السورة، حيث قال: "قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور، أما الكلام في نظام القرآن فلم أطلع عليه، والفرق بينهما أنَّ التناسب إنَّما هو جزء من النظام..."⁴.

وقال أيضاً: "مرادنا بالنظام أن تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر فتبين بما تقدّم أنَّ النظام شيء زائد على المناسبة وترتيب الأجزاء"⁵.

وهكذا فإنَّ علم النظام الذي تحدّث عنه الفراهي علمٌ جامع، ليس كعلم المناسبة الذي كان مركزاً لأفكار السلف ومطمحاً لأنظارتهم؛ لأنَّ التناسب إنَّما هو جزء من أجزائه، والنظام شيء زائد عليه بل أوسع منه وأعم، فعلم

وكان يجيد التدريس، وصنّف عدّة تواليف صغار بديعة الترتيب، مات في شهر ربيع الأول سنة (774هـ) عن بضع وستين سنة. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج2، ص120. وانظر: ابن حجر، أحمد بن علي، (ت:852هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د. حسن حبشي، (مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1389هـ، 1969م)، ج1، ص46-47.

¹ الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص37. وذكره السيوطي في الإقتان. انظر: السيوطي: الإقتان في علوم القرآن، ج3، ص370.

² المرجع السابق، ج1، ص38.

³ عبد الحميد الفراهي: هو حميد الدين أبو أحمد عبد المحسن الأنصاري الفراهي. ولد سنة 1280هـ في قرية (فريها)، من قرى مديرية (أعظم كره) بالهند، وهو عالمٌ من علمائها، وصاحب تفسير (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) الذي لم يتمكن من إكماله لموته، وهو أحد القائمين بنظام القرآن، وذلك من خلال كتابه (دلائل النظام)، توفي سنة 1349هـ، انظر: الحسني، عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الإعلام المسمى ب (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، (بيروت، لبنان - دار ابن حزم، ط1، 1420هـ-1999م)، ج8، ص1267.

وانظر: سبحاني، محمد عناية الله: إمعان النظر في نظام الآي والسور، (عمّان، دار عمار، د.ط، د.ت)، ص6.

⁴ الفراهي، عبد الحميد، (ت:1349هـ): دلائل النظام، (المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ)، ص74.

⁵ الفراهي: دلائل النظام، ص75.

النظام لا يظهر التناسب وحده بل يجعل السورة كلاماً واحداً، ويعطيها وحدانيتها التي صارَت سورة كاملة بنفسها ذات عمود تجري إليها أجزاءها، ويربط الآيات بعضها ببعض حتى تأخذ كل آية محلها الخاص، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها، فمن تدبّر القرآن في ضوء النظام فلا شك أنه لا يخطئ في فهم معانيه، وذلك لأنّ النظام قد يُبين له سمت الكلام، وينفي عنه تشاكس المعاني، ويرد الأمور إلى الوحدة، ويسد أبواب الدخول فيه للأهواء. حتى يجبره ألا يأخذ إلا بصحيح التأويل، ولا يعتمد إلا عليه وهو أعظم مطلوب¹.

ويقرب من قول الشيخ الفراهي ما قاله الشيخ دراز² في كتابه (النبأ العظيم)³، وقد وافقه أيضاً عندما قال في المدخل إلى القرآن: "ثمّ يتبع ذلك التدرج في عرض الموضوع بنظام لا يتداخل جزء مع جزء آخر، وإنما يحتل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة، وأخيراً تأتي الخاتمة التي تقابل الديباجة"⁴.

القول الثاني: عارض بعض العلماء البحث عن المناسبات وتطبيقاتها، وقالوا بأنّه علمٌ متكلفٌ، ولا يُطلب للآية الكريمة مناسبة لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث، ومنهم:

1. الإمام الشوكاني -رحمه الله-⁵ حيث عبّر عن قوله في تفسيره لسورة البقرة⁶، وخلاصة ما ذكره:

أ. أنّ هذا العلم متكلف فيه، ولم نكلف به.

ب. أنّ هذا التكلّم هو بمحض الرأي المنهي عنه فضلاً عن أنّ هذا الترتيب للقرآن هو من ترتيب الصحابة.

¹ انظر: فرحات، مناسبات الآيات والصور، ص47-48.

² دراز: محمد بن عبد الله دراز: فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، وله كتب، منها: (مدخل إلى القرآن)، (الدين، دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام)، (النبأ العظيم)، توفي رحمه الله في باكستان أثناء حضوره المؤتمر الإسلامي سنة (1377هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص246.

³ انظر: دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): النبأ العظيم، (دار القلم، د.ط، 1426هـ-2005م)، ص188.

⁴ دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، (الكويت- دار القلم، د.ط، 1404هـ)، ص119.

⁵ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بهجرة شوكان، له مؤلفات كثيرة، ومن أنفسها: فتح القدير، توفي سنة 1250هـ. انظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص297-298.

⁶ انظر: الشوكاني، محمد بن علي، (ت:1250هـ): فتح القدير، (دمشق، بيروت -دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1-1414هـ)، ج1، ص (85-87).

ج. أن القرآن نزل بلغة العرب، وبأساليب العرب، والعرب لم تعرف هذا النوع من العلم.

د. أن نزول القرآن كان على حسب الحوادث، وليس على حسب ما هو مرتب الآن، فهو إذن يختلف

باختلافها فكيف يطلب المناسبة بينها؟!

ويجاب عن كلام الشوكاني ب¹:

أ. أن هذا العلم ليس تكلفاً، وإنما هو نتيجة التدبر للقرآن الكريم، فمن تدبره وتفكر فيه أوصله هذا إلى القول

بتناسبه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد:24) ثم لو وجد من تكلف

فلا ينبغي أن نرد علماً بأكمله، فلا يوجد علم إلا وفيه متكفون.

ب. صحيح أن هذا الفن توفيقى إلا أنه وإن كان من قبيل الرأي فليس هو من قبيل الرأي المذموم والمردود؛

بل من الرأي المحمود والمقبول، ولاسيما إذا كان مبنياً على أساس علمي.

ج. أقوال العلماء والسلف تثبت أن ترتيب القرآن ليس من اجتهاد أحد من الصحابة رضي الله عنهم، فضلاً

عن الأدلة² التي بينت أنه توفيقى وليس من اجتهاد أحد.

د. صحيح أن القرآن نزل بلغة العرب؛ إلا أنه ليس بشرط أن يلتزم كل أساليبهم.

هـ. كما أنه كان من عاداتهم طلب المناسبة والاهتمام بها وليس كما نفى الشوكاني؛ فمن تعريفاتهم للبلاغة:

أن يرتبط أول الكلام بآخره، كما كان الشاعر منهم إذا أراد أن يفتخر على صاحبه بأنه أشعر منه يذكر

له البيت وأخاه وأن صاحبه يقول البيت وابن عمه، وهذا يُدَلِّل على مراعاة المناسبة في أشعارهم أيضاً.

و. صحيح أن نزول القرآن كان على حسب الحوادث؛ لكن القرآن كان قبل ذلك مرتباً في اللوح المحفوظ،

ثم نزل منجماً حسب الحوادث والمناسبات، والمناسبة تطلب وفق ترتيب التلاوة لا ترتيب النزول.

¹ انظر: الشرقاوي، أحمد بن محمد: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، (بحث محكم بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر، 1425هـ)، ص8.

² انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257-258. وانظر: فرحات، أحمد حسن: مناسبات الآيات والسور، (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، م3، ع1، 1390هـ-1970م)، ج9، ص51-52.

ز. ويمكن الرد أيضاً بهذا السؤال: لم عُذِلْ عن ترتيب النزول إلى ترتيب التلاوة لم لو يكن لذلك العدول حكمة؟ وما هي الحكمة إن لم تكن المناسبة؟!¹

وبالرغم من أن الشوكاني قد اعترض على التكلف في تطلب المناسبات، لكنه هو نفسه يذكر المناسبات في مواضع متفرقة من تفسيره، ومن أمثلة ذلك!²

أ. بيانه للمناسبة في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿لَمْ يَكُنِ الْأَكْتَابُ لَا رَبِّبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٠١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَيَآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿١٠٢﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (البقرة: 1-5) حيث قال: "﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾" (البقرة: 5) كلامٌ مستأنف² استئنافاً بيانياً، كأنه قيل: كيف حال هؤلاء الجامعين بين التقوى والإيمان بالغيب والإتيان بالفرائض والإيمان بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى من قبله من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟ فقيل: أولئك على هدى، ويمكن أن يكون هذا خبراً عن الذين يؤمنون بالغيب، فيكون متصلاً بما قبله³.

ومن الملاحظ أن الإمام الشوكاني ربط بين الآية الخامسة وما قبلها من الآيات بأسلوب من أساليب البلاغة؛ وهو أسلوب الاستئناف الذي حوى الإخبار عن جزاء المتقين الذين تحلوا بتلك الصفات، والتقرير بأن طريقهم هذا هو طريق الهدى والفلاح.

¹ وقد مثل الدكتور أحمد الشرقاوي بكثير من الأمثلة في بحثه الموسوم: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، ص 57 من تفسير الإمام الشوكاني "فتح القدير".

² الاستئناف: هو الإتيان بعد تمام الكلام بقول يفهم منه جواب سؤال مقدر. انظر: عكاوي، أنعام فؤال: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، (بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1417هـ-1996م)، ص 66.

³ الشوكاني: فتح القدير، ج1، ص 44.

ب. بيانه للمناسبة في تفسيره لقوله تعالى من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ

تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ ﴿٧﴾ (البقرة: 6-7) حيث قال: "ذكر سبحانه فريق الشر بعد الفراغ من ذكر فريق الخير قاطعاً

لهذا الكلام عن الكلام الأول، مُعْتَوِناً له بما يفيد أن شأن جنس الكفرة عدم إجداء الإنذار لهم، وأنه لا

يترتب عليهم ما هو المطلوب منهم من الإيمان وأن وجود ذلك كعدمه"¹.

والذي يظهر أن الإمام الشوكاني ربط بين الآيات الأنفة الذكر وبين سابقاتها بأسلوب من أساليب البلاغة؛

وهو أسلوب التضاد²، فبعدما تحدت سبحانه عن المؤمنين، انتقل للحديث عن الكافرين.

ج. بيانه للمناسبة في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿لَهُوَ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ

مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١٤﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ

وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ ﴿١٥﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٦﴾

وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ

فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٧﴾ (الرعد: 11-13) حيث قال: "لَمَّا خَوَّفَ سبحانه عباده بإنزال ما لا

مرداً له أتبعه بأمور تُرجى من بعض الوجوه ويخاف من بعضها، وهي: البرق، والسحاب، والرعد،

والصاعقة"³.

2. نُسِبَ للشيخ ولي الدين المَلُوي⁴ معارضته لتطلب المناسبة، وما نقله السيوطي عنه ينفي ذلك، ويبرهن

خلافه، فقد قال -رحمه الله-: "قد وَهَمَ من قال: لا يطلب للآية الكريمة مناسبة، لأنها على حسب الوقائع

¹ الشوكاني: فتح القدير، ج 1، ص 45.

² التضاد: هو الإتيان بالشئ وبضده في الكلام. انظر: عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص 371.

³ الشوكاني: فتح القدير، ج 3، ص 86.

⁴ ولي الدين المَلُوي:

المتفرقة، وفصلُ الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً، فالصحف على وفق اللوح المحفوظ مرتبة سورة كلها وآياته بالتوقيف، كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه، ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم. وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له¹.

ومعنى عبارته: أنه صحيح أن الآيات نزلت في حوادث مقتضية نزولها، وأنها نزلت مفرقة، لكن عند ترتيبها لم ترتب حسب نزولها، وإنما رتبت مع بعضها البعض وفق الحكمة والتي قصد بها (ترتيب التلاوة).

ويقارب هذا القول من يقول بالمناسبة في حال دون حال، وهو قول الشيخ العز بن عبد السلام حيث يقول: "واعلم أن من الفوائد أن محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبه بعضه ببعض، لئلا يكون مقطعاً متبرأً، وهذا بشرط أن يقع اتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه؛ إلا يربط ركيك يسان عن مثله حسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول عليه السلام في نيف وعشرين سنة، في أحكام مختلفة غير مؤلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العلل والأسباب"².

فسلطان العلماء-الشيخ العز بن عبد السلام- لم يعارض المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمراً متكلفاً.

¹ انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص370. وانظر: السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج1، ص44.

² ابن عبد السلام: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، ص278.

إنّ فهو يقول بالمناسبة الظاهرة دون الخفية؛ وذلك ليهرب من التكلّف الذي رآه عند بعض من خاضوا هذا البحر، ولم يحسنوا فيه السباحة فأوشكوا على الغرق، فهو يرى حسن المناسبة ولكنّه يشفق على من يسعى إليها¹.

وفي ختام هذا العرض يظهر بأنّ القائلين بالتوسّط في علم المناسبات هم الأكثر، وهم يشيرون إلى تلك المناسبة كلما ظهرت لهم أماراتها، كما أنّ القائلين بالمنع مطلقاً وإن كانوا قلّة، إلّا أنّ رأيهم كان محل بحث ودراسة. وقد ذكر العلماء² عدة ضوابط وشروط لجواز طلب المناسبات في القرآن العظيم، وهي³:

- أن تكون المناسبة منسجمة مع السياق والسباق واللاحق⁴.
- ألا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع، بحيث لا يتبع فيها هواه أو مذهبه ويتعصّب له.
- أن تكون متوافقة مع تفسير الآية، غير مخالفة له (مخالفة تضاد).
- ألا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن العظيم، وهنا لا بدّ أن يكون المُفسّر ملماً بقواعد اللغة وأصولها وديوان العرب، حيث إنّها من الأدوات المهمّة لكلِّ مُفسّرٍ ومُستنبطٍ.
- أن يكون المفسر عالماً بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، وجميع علوم القرآن، والحديث والأصول والفقهاء.
- أن يكون المُفسّر بعيداً عن الهوى ونزعة التعصّب، بمعنى: ألا يجزم بأنّ هذه المناسبة هي مراد الله تعالى، وإنّما هي من اجتهاده ونظره وتدبّره.

¹ انظر: فرحات: مناسبات الآيات والسور، ج16، ص29.

² ومنهم: الدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول، والدكتور عبد العزيز بن عتق بن معتق الشطيبي الجهني.

³ انظر: بازمول، محمد بن عمر بن سالم: علم المناسبات في السور والآيات وويليه مراد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي الشافعي رحمه الله، (جامعة أم القرى- كلية الدعوة وأصول الدين، المكتبة المكيّة، ط1، 1423هـ-2002م)، ص37. وانظر: الشطيبي: مقدّمة في علم المناسبات القرآنية، ص41.

⁴ وهذا ما بيّنه السيوطي فيما نقله عن بعض المتأخرين حيث قال: " الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر إلى الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها فهذا هو الأمر الكلي المهيم على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن فإذا فعلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة". انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج3، ص376.

- أن يعلم المُفسِّر أن المناسبة موجودة، ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل أحد، بمعنى: ألا يتعسّف في إيجادها.

وعلى الجملة، فإنّه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بالرأي؛ إذ هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به، والله أعلم.

الفصل الثاني

أنواع المناسبات في القرآن الكريم

تمهيد:

يُعدُّ علم "المناسبات" من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظمه وبيانه المعجز، وإلى معايشة جو التنزيل، فكثيراً ما تأتي المناسبة إلى ذهن المفسر على شاكلة إشراقات فكرية أو روحية.

وقد اعتبر بعض المفسرين أنّ نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو¹.

فهو علم يجعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء².

ومن هذا المنطلق حاول بعض العلماء البحث عن أوجه المناسبة سواء أكانت في السورة الواحدة، أو بين السور، فالمناسبة ليست أمراً بيّناً في جميع حالاتها، ولهذا تحتاج أحياناً إلى علم، وبديهة، ودقّة تأمل.

وفي هذا الفصل محاولة لتسليط الضوء على أنواع المناسبات في القرآن الكريم، سواء في السورة الواحدة أو بين السور من خلال عرض كل نوع منها وأقسامه، ثمّ التمثيل عليه بأمثلة توضيحية من كتاب الله.

¹ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص6.

² انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص36.

المبحث الأول: المناسبات في السورة الواحدة

قبل البدء بعرض هذا النوع من المناسبات، لا بُدَّ من الإشارة إلى أمرٍ متفقٍ عليه بين العلماء وهو: أنَّ ترتيب الآيات في السورة الواحدة أمرٌ توقيفيٌّ لا مجال فيه للاجتهاد، ولم يأت هذا الإجماع¹ من فراغ بل هناك الأدلة الكثيرة² التي تفيد أن ترتيب الآيات في السورة كان توقيفيًا ومن ذلك: ما أخرجه البخاري عن ابن الزبير قال: "قُلْتُ لِعُمَانَ بْنِ عَمَانَ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ (البقرة: 234) قَدْ نَسَخْتَهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدْعُهَا؟ قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»³.

فهذا الشاهد "يدلُّ على أنَّ ترتيب الآيات في السور كان معلومًا للصحابة -رضوان الله عليهم- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرئهم بهذا الترتيب، وإلا لما استطاع أن يشير لهم إلى مضمون سورة باسمها ولا تحديد آيات بعينها بالإشارة إلى أرقامها أو مكانها"⁴.

وفيما يلي بيان لأنواع المناسبات في السورة الواحدة ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: المناسبة بين الآية والتي تليها

وقد ظهر هذا النوع من المناسبات جليًا عند الإمام البقاعي، فقد كان يعرض للآيات القرآنية، ويُظهر -مجتهدًا- وجه الارتباط بين الآية وأختها بنوع من الروابط البلاغية المعروفة، ومن أمثلة ذلك:

¹ نقل هذا الإجماع: أبو جعفر بن الزبير في مناسباته، والزركشي في "البرهان". انظر: ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت: 708هـ): البرهان في تناسب سور القرآن، دراسة وتحقيق: أحمد شعباني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، 1410هـ-1990م)، ص 182. وانظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 256.

² انظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 68-69. وانظر: فرحات: مناسبات الآيات والسور، ج 9، ص 51-52.

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت: 256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط 1، 1422هـ)، كتاب تفسير القرآن: باب ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: 234]، رقم: 4530، ج 6، ص 29.

⁴ مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 69.

1. بيانه للمناسبة في قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:5) والآية

التي تليها، حيث قال موضحاً وجه المناسبة بينهما: "لما ذكر سبحانه في أول السورة استحقاق الله تعالى لكل أنواع المحامد والثناء، وكونه رباً للعالمين.. كان من شأن كل عاقل مُعْتَرِفٍ بذلك أن يُقْبِلَ على عبادة الرحمن الرحيم، وأن لا يتناوى عن طلب العون منه والمدد، فلذلك ناسب أن يستشرف للطلب من ذلك الرب المستعان فيقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة:6)".¹

2. بيانه للمناسبة في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ

أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:158)

والآية التي تليها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي

الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة:159)، حيث قال موضحاً وجه الربط بينهما:

لَمَّا نَقَدَّمْ كِتْمَانَ بَعْضَ أَهْلِ الْكِتَابِ لِلْحَقِّ، وَخَتَّمْ مَا أَتْبَعَ ذَلِكَ بِصِفَتِي الشُّكْرِ وَالْعِلْمِ، فَالشُّكْرُ لِمَنْ نَصَحَ

لِلَّهِ وَأَتَّبَعَ شَرْعَهُ، فَاللَّهُ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورَ، حَتَّىٰ وَإِنْ دَقَّتْ الْأَفْعَالُ وَأَسْتَنْتَرْتُ، وَبَالَغَ

الْقَوْمُ فِي كِتْمَانِهَا وَإِخْفَانِهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ -أَي: اتِّبَاعِ شَرْعِهِ كَامِلًا، وَشُكْرِ مَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ- انْعَطَفَ الْكَلَامُ

لِتَبْكِيَةِ الْمُنَافِقِينَ، وَكَذَلِكَ الْمَصَارِحِينَ، وَلِعَنُهُمْ عَلَى كِتْمَانِهِمْ مَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْحَقِّ.²

مِمَّا سَبَقَ يَتَضَحُّ لِلنَّاظِرِ الْمُتَفَحِّصِ كَيْفَ لَعِبَ أَسْلُوبُ الْإِلْتِقَاتِ³ التَّبْكِيَّتِي دَوْرًا كَبِيرًا فِي إِظْهَارِ الْمُنَاسِبَةِ بَيْنَ

الآية والآية التي تليها.

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج1، ص27-33.

² انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2، ص272-273.

³ الالتفات: هو الانتقال في الكلام من وضع إلى وضع، أو من حالة إلى أخرى؛ كأن ينتقل الكلام من خطاب الحاضر إلى الغائب ومن خطاب الغائب إلى الحاضر، ومن خطاب المتكلم إلى المخاطب، ومن المخاطب، إلى الغائب... إلى غير ذلك من صيغ الانتقال التي تعني التحول من صيغة إلى أخرى. انظر: عكاوي: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ص207.

3. بيانه للمناسبة في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا وَمَدْخُورًا لَمَنِ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الأعراف: 18) والآية التي تليها: ﴿وَيَقَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ (الأعراف: 19)، حيث قال موضحاً وجه الصلة

بينهما: أن الله عز وجل لما أوجب للشيطان من الشقاوة لتماديه في حسد آدم وذريته، وما كان من أمره

بعد ذلك، وكثرة كلامه في محسوده، التفقت الله عز وجل إلى محسوده الذي لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل

إنه انشغل بنفسه واكتفى بجزائه، ورضي بقضاء الله، فقال الله عز وجل -وقد عطف عطفًا تناسيًّا معجزًا

على الآية التي قبلها: ﴿قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْءُومًا وَمَدْخُورًا﴾ - قال تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ﴾،

فكان هذا الالتفات الرباني فيه من التشريف والإيناس لآدم وزوجه ما فيه¹.

ومن العلماء الآخرين الذين تطرقوا لبيان هذا النوع من المناسبة: الإمام الزركشي، ومن أمثلة ذلك:

1. بيانه للمناسبة بين قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (الإسراء: 1) والآية

التي تليها: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ آلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي

وَكَيْلًا ﴿٢﴾﴾ (الإسراء: 2) حيث قال: "ووجه اتصالها بما قبلها أن التقدير: أطلعناه على الغيب عياناً،

وأخبرناه بوقائع من سلف بياناً لتقوم أخباره على معجزته برهاناً أي: سبحان الذي أطلعك على بعض

آياته لتقصها ذكراً، وأخبرك بما جرى لموسى وقومه في الكرّتين لتكون قصتهما آية أخرى، أو أنه أُسري

بمحمد إلى ربه كما أُسري بموسى من مصر حين خرج منها خائفاً يترقب...².

¹ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص370-371.

² الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص42.

ولعلَّ الإمام الزركشي -في بيانه للتناسب بين الآيتين- أراد أن يُظهر مدى التشابه بين حال النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وحال النبي موسى عليه السلام فكلُّ منهما خرج من بلده خائفاً يترقب، وكل منهما كتب الله له النجاة من بطش قومه، فلذلك كانت قصة نجاة كل منهما آية من آيات الله.

2. بيانه للمناسبة بين قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ

وَمَعْفَرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ (الأنفال: 4) والآية التي تليها: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ

فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ (الأنفال: 5) حيث قال مبيّناً تلك المناسبة في ثلاثة أوجه¹:

- الوجه الأول: إنَّه -تعالى- أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون. والقصد أنَّ كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج، وقد تبينَّ في الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الإسلام، فكذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا به، ويتركوا هوى أنفسهم، ولا يعترضوا عليه فيما يفعله من شيء ما، بعد أن كانوا مؤمنين ووصف المؤمنين.

- الوجه الثاني: أنَّ المعنى أولئك هم المؤمنون حقاً، كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، كقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِمَّا آتَاكُمْ تَتَطَفُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الذاريات: 23).

- وأما الوجه الثالث: أنَّ الكاف صفة لفعل مضمر وتأويله: افعل في الأنفال كما فعلت في الخروج إلى بدر وإن كره القوم ذلك.

3. بيانه للمناسبة بين قوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ (الغاشية: 17)

وما يليها من الآيات: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ (الغاشية: 18-20) حيث قال موضحاً وجه الجمع بينها: " أنه سبحانه جمع بينهما على

¹ المرجع السابق، ج 1، ص 47.

مجرى الإلف والعادة بالنسبة إلى أهل الوبر؛ فإنَّ كل انتفاعهم في معاشهم من الإبل، فتكون عنايتهم مصروفة إليها، ولا يحصل إلا بأن ترعى وتشرب وذلك بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثمَّ لا بُدَّ لهم من مأوى يؤويهم، وحصن يتحصنون به، ولا شيء في ذلك كالجبال، ثمَّ لا غنى لهم؛ لتعذر طول مكثهم في منزل عن التنقل من أرض إلى سواها، فإذا نظر البدوي في خياله، وجد صورة هذه الأشياء حاضرة فيه على الترتيب المذكور¹.

المطلب الثاني: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمتها

وهذا النوع من المناسبة قد قلَّ إعتناء المفسرين به، ولم يفرده بشيء من التفصيل سوى الإمام البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، والإمام السيوطي في رسالته: (مرائد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع)، للكلام عن مناسبة فواتح السور لخواتمها، وفي العصر الحديث نجد أنَّ سيّد قطب قد اهتم في تفسيره (الظلال) بهذا النوع من المناسبة اهتماماً عظيماً، وأشار إليها إشارات عديدة، وعدا هذه التفسير السابقة الذكر نجد أنَّ المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها قد جاءت إشارات أحياناً في بعض كتب التفسير مثل: التفسير الكبير للرازي، والبحر المحيط لأبي حيان، والكشاف للزمخشري، وجامع البيان للقرطبي، والتحرير والتنوير لابن عاشور.

والمأمل لسور القرآن يجد بين فواتح السور وخواتمها مناسبة كبيرة وعلاقة قوية تجعل من السورة حلقات متماسكة بعضها مع بعض. فهذه المناسبة تظهر بصورة واضحة في كثير من سور القرآن الكريم، ومن الأمثلة على ذلك²:

1. قوله تعالى في افتتاح سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة: 3)،

ثمَّ قال تعالى في خاتمتها: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ

¹ المرجع السابق، ج1، ص45.

² انظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص74-77.

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ﴿البقرة: 285﴾ وهو ختامٌ يتناسق مع

البدء كأنهما دفئا كتاب¹ فهو في أول السورة يذكر صفات المتقين التي يتميزون بها، ويبيِّن في آخر السورة أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه قد امتثلوا تلك الصفات وتحلَّوا بها².

2. وقوله تعالى في أول سورة النحل: ﴿أَتَىٰ أَمْرَ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ

الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاتَّقُوا ﴿٢﴾﴾ (النحل: 1-2)، ثم قال في آخرها: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (النحل: 127-

128) فهو في أول السورة يذكر إنذار الله تعالى لهم ونهيبهم عن الاستعجال، وفي آخر السورة أمره

تعالى لنبيه بالصبر، وبذلك انطبق آخر السورة على أولها إذ لا بد بعد الإنذار من الصبر بعض الوقت

لمعرفة مدى تجاوب القوم، فإن تمادوا في غيهم ومكرهم أخذهم العذاب فلا ينبغي الحزن عليهم³.

3. وقوله تعالى في فاتحة سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾

قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴿٢﴾﴾ (الكهف: 1-2)، ثم ختمها بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا

لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿٣﴾﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَحِيدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ

أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ (الكهف: 109-110) فوافق آخرها أولها في الحديث عن كلام الله المنزل الموحى به على النبي

محمد صلى الله عليه وسلم، مع الإشارة إلى أنَّ كلمات الله وما يوحى إليه أعم من الكتاب⁴.

¹ انظر: قُطب: في ظلال القرآن، ج1، ص339.

² انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور، ج4، ص168.

³ انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، (المملكة العربية السعودية - الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1426هـ)، ص53.

⁴ انظر: البقاعي: نظم الدرر، ج12، ص155.

4. وقوله تعالى في فاتحة سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (المؤمنون:1-2) حيث تحدّث سبحانه عن فلاح المؤمنين الذين يتصفون بهذه

الصفات النبيلة. وختم السورة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ

فَاتِمًا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ

الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (المؤمنون:117-118)، حيث ذكر عاقبة الكفر وعدم فلاح الكافرين، وبذلك عانق آخر

السورة أولها ووافق مقطعها مطلعها؛ فالفلاح والفوز للمؤمن الذي اتصف بالصفات التي ذكرتها الآيات،

والخيبة والخسارة للكافر الذي لم يتصف بها¹.

المطلب الثالث: المناسبة بين حكيمين في الآيات أو الآية

لا تقف المناسبة عند حد التناسب اللفظي أو المعنوي، بل تمتد لتشمل التناسب في الأحكام، ومن ذلك:

مجيء آيات الاستئذان في سورة النور بعد تقرير حد الزنا والقذف والوقاية منهما، ووجه المناسبة في ذلك

بيّنه الإمام الشوكاني -رحمه الله- فقال: "لما فرغ سبحانه من ذكر الزجر عن الزنا والقذف، شرع في ذكر

الزجر عن دخول البيوت بغير استئذان لما في ذلك من مخالطة الرجال بالنساء، فربما يؤدي إلى أحد الأمرين

المذكورين"²، ثم أعقب سبحانه آيات الاستئذان بآيات غضّ البصر؛ ووجه المناسبة في ذلك: أنّ الاستئذان

إنما شرع لئلا يقع النظر إلى ما حرّم الله من عورات، وإن صدف ووقع النظر إلى العورات فعلى المستأذن

غضّ بصره، والحكمة من مشروعية آداب الاستئذان وغضّ البصر واحد وهو العفة وحفظ العورات في

المجتمع المسلم³.

¹ انظر: الزمخشري: الكشاف، ج3، ص207. وانظر: السيوطي: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، ص56.

² الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص23.

³ انظر: الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص26. وذكره: الخضير: (علم المناسبات في القرآن)، <https://alkhaderi.com>، تاريخ النشر:

2014/8/25م، تاريخ الزيارة: 2022/6/15م.

أمّا وجه المناسبة بين الأمر بحفظ الفرج والأمر بغض البصر أنّ حفظ الفرج لا يتم إلا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحريٌّ أن تزلَّ قدمه في الآثام، وقَدَّم غُض البصر على حفظ الفرج لأن النظر بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر لا يكاد يقدر على الاحتراز منه، وهو الباب الأكبر إلى القلب وأمر طرق الحواس إليه ويكثر السقوط من جهته¹، إذن فالنظر وسيلة إلى عدم حفظ الفرج، والوسيلة مقدمة على المتوسل إليه²، وكلا الحكمين جاء في آية واحدة.

ومن الأمثلة على هذا النوع أيضاً: ما ذكره الرازي في "تفسيره" من بيان لوجوه المناسبة بين الأمر بعبادة الله تعالى والأمر ببر الوالدين في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: 23)، فذكر في ذلك ثلاثة أوجه³:

- **الوجه الأول:** لمّا كان السبب الحقيقي لوجود الإنسان هو خلق الله تعالى له وإيجاده، والسبب الظاهري هو الأبوان، لذلك قدّم سبحانه الأمر بتعظيمه، ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري.
- **الوجه الثاني:** أنّ الموجود إمّا قديم، وإمّا مُحدث، لذا وُجِبَ أن تكون معاملة الإنسان مع الإله القديم بالتعظيم والعبودية، ومع المُحدث بإظهار الشفقة... وأحقّ الخلق بصرف الشفقة إليه هو الأبوان، لكثرة إنعامهما على الإنسان.
- **الوجه الثالث:** ولما كان أيضاً الاشتغال بشكر المنعم الحقيقي وهو الخالق سبحانه واجباً على الإنسان، فإنه وُجِبَ عليه أيضاً شكر كل نعمة من المخلوقين، لأن ذلك من باب شكر الله، ويؤيد ذلك قوله عليه السلام: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)⁴، وبما أنه ليس لأحدٍ من الخلائق نعمةٌ على الإنسان مثل ما للوالدين، فوجب شكرهما والإحسان إليهما أكثر من أي مخلوق غيرهما.

¹ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج23، ص363. وانظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج8، ص33.

² الشوكاني، محمد بن علي، (ت: 1250هـ): فتح القدير، (دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ)، ج4، ص27.

³ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج20، ص321-322.

⁴ أخرجه: ابن حنبل، أحمد بن محمد، (ت: 241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م)، رقم: 7504، ج12، ص472/ ورقم: 7939، ج13، ص322.

والمناسبة هنا -كما بيّنها الرازي- جاءت قائمةً على إلحاق حكمٍ بحكمٍ لشيءٍ ما في أصل الإحسان، مع اختلاف الأحوال والمقامات، فبرُّ الوالدين من قضايا العبادات بمفهومها العام، وعبادةُ الله من متعلقات العبادة بمفهومها الخاص، كما أنّ طاعة الله مطلقةٌ وواجبةٌ في جميع الأحوال، أمّا طاعة الوالدين منضبطةٌ بضوابط، ألا تكون في تلك الطاعة معصيةٌ لله، وعدا ذلك كل طاعة لهما عبادةٌ لله. كما يلمح أنّ هناك تكلفاً في بيان المناسبة عند الرازي وخصوصاً في الوجه الثاني من وجوه المناسبة على وجه التحديد.

المطلب الرابع: المناسبة بين مضمون السورة واسمها

كثيرٌ من سور القرآن الكريم عرفت أسماءها توقيفاً¹ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضها اشتهرت بوصفها، وبعض السور كان السلف يذكرها بالسورة التي يُذكر فيها كذا وكذا²، وسأقتصر بذكر أمثلة على السور التي نقلت أسماءها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة المناسبة بين الاسم والمحور الذي تدور عليه السورة، وتعيين هذا المحور اجتهادي لأن السورة إذا تناولتها من زاوية محددة تستطيع أن تحدد المحور من زاوية الدراسة تلك، وقد يكون للسورة أكثر من محور.

وإنّ موافقة اسم السورة لمقصودها ومحورها هو ما أكده البقاعي بقوله: "وقد ظهر لي.. بعد وصولي إلى سورة سبأ أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تُظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه... ومقصود كل سورة هادٍ إلى تناسبها فأذكر المقصود من كل سورة وأطابق بينه وبين اسمها"³.

قال صاحب كشف الخفاء: "رواه أحمد بسند رجاله ثقات عن الأشعث بن قيس رفعه، وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً وصححه الترمذي عن أبي هريرة". انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد، (ت: 1162هـ): كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندواوي، (المكتبة العصرية، د. ط، 1420هـ-2000م)، ج2، ص465.

¹ قال السيوطي: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار". انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، 1/186.

² لمزيد من المعلومات عن تحليل تسمية أسماء السور انظر: ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت: 708هـ): ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، (بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، د. ط، د. ت)، ج1، ص22-23.

³ انظر: البقاعي: نظم الدرر، ج1، ص18-19. وأشار لذلك أيضاً: الزركشي في البرهان. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270-272.

ومن الأمثلة على هذا النوع من المناسبات¹:

1. سورة آل عمران: وآل عمران: اسم عائلة عريقة من عوائل بني إسرائيل، ومن نسلها مريم عليها السلام

وابنها عيسى عليه السلام.

فأحداث هذه الأسرة وتكوينها وما جرى لها ابتداء من نذر امرأة عمران، وكفالة زكريا عليه السلام لمريم، وبشارته بيحيى، ثم بشارة الملائكة لمريم عليها السلام بالمسيح عيسى من غير أب، كل ذلك يفند معتقدات النصارى المحرفة عن المسيح وأمه، ويظهر العقيدة الصحيحة في الله وتنزيهه عن صاحبة الولد، وقد جاءت أكثر من ثمانين آية من أول السورة إلى قرب منتصفها لتصحيح العقائد والرد على انحرافات النصرانية وشبهاتها، ثم تأتي آيات الجهاد في سبيل الله من خلال ذكر غزوة أُحُد وأحداثها وعظاتها وعبرها الهائلة، لذا يمكن القول أنّ محور سورة آل عمران هو: (تصحيح العقيدة والدفاع عنها باللسان والسنان)، فكان الدفاع عنها باللسان من خلال إزالة الشبهات والرد على النصارى، وكان الدفاع عنها بالسنان من خلال الدروس التربوية لغزوة أُحُد.

2. سورة النساء: وهي من السور التي ثبت اسمها توقيفاً²، ولو فَتَشَّتْ عن العلاقة بين هذا الاسم وبين محور

السورة لوجدتها بارزة فإنّ النساء نموذجٌ لطبقة من المجتمع الإسلامي تحتاج إلى الرعاية والاهتمام، فالمرأة بحاجة إلى من يرفع شؤونها في كل مراحل حياتها سواء كانت بنتاً أو أختاً أو زوجة أو أمّاً، ومحور هذه السورة يدور حول: (رعاية حقوق الضعفاء - المرأة واليتيم - في المجتمع الإسلامي)، لذلك تجد أن الأحكام المتعلقة بالمرأة واليتيم مبنوثة في افتتاحية السورة إلى أن تختم بأية الكلاله وهي نوع من

¹ انظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص179-180. وانظر: مسلم، مصطفى، (ت:1442هـ): المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، (دمشق - دار القلم، ط1، 1427هـ-2006م)، ص15-16.

² قال أبو جعفر بن الزبير في سبب تسمية السورة بالنساء أنه يرجع لما تردد فيها من أحكام النساء، ومع أنه ورد ذكر النساء في سور أخرى إلا أن ما تكرر وبسط من أحكامهن لم يرد في غير سورة النساء. ابن الزبير: ملك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من أي التنزيل، ج1، ص22-23. وانظر: الزركشي: البرهان، ج1، ص270-271.

أضعف أصناف الورثة وأبرز من فيها الأخوات، فالمناسبة واضحة بين اسم السورة ومحورها الذي يدور حول حقوق الضعفاء ورعايتهم.

وهذا ما أكد عليه البقاعي بقوله: " لما كان مقصود السورة الاجتماع على ما دعت إليه السورتان قبلها -أي البقرة وآل عمران- من التوحيد، وكان السبب الأعظم في الاجتماع والتواصل -عادة- الأرحام العاطف التي مدارها النساء، سميت "سورة النساء" لذلك. ولأنّ بالانتقاء فيهن تتحقق العفة والعدل الذي لبابه التوحيد"¹.

3. سورة الكهف: وهي من السور التي ثبت اسمها توقيفاً²، ويقال لها أيضاً: سورة أصحاب الكهف³، ولو

نظرت إلى هذا الاسم "سورة الكهف" وإلى موضوعات السورة، لوجدت بين الاسم والموضوعات مناسبة

لطيفة؛ فإنّ هذه السورة قد ذكرت أنواع الفتن التي تمر بالمرء؛ إذ ذكرت فيها الفتنة في الدين في قصة

الفتية، وفتنة الجلساء في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

وَجْهَهُمْ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ

فُطْرًا﴾ (الكهف:28)، وفتنة المال في قصة صاحب الجنتين، وفتنة العلم في قصة موسى والخضر،

وفتنة السلطان في قصة ذي القرنين، وفتنة القوة والكثرة في خبر يأجوج ومأجوج، وذكرت هذه السورة

المخرج من كل واحدة من هذه الفتن؛ فمن تدبّر هذه السورة ولجأ إليها كانت له كالكهف الحصين من

الفتن جميعها، كما ذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: " من حفظ عشر آيات من أول

سورة الكهف عصم من الدجال"⁴، فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتية كهفًا محسوسًا ملموسًا، فإنّ

¹ البقاعي: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج2، ص88-89.

² حكى ذلك: الزركشي في (البرهان)، والسيوطي في (الإتقان). انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص270-271. والسيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص186.

³ انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ص193، ص198.

⁴ انظر: مسلم: صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، رقم: 809، ج1، ص-555-556.

الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة ولو كانت مثل قطع الليل المظلم.

وإذا نظرت إلى الاسم الآخر للسورة "سورة أصحاب الكهف" تلحظ أن الأشخاص أصحاب العقيدة الحقّة والموقف السديد هم المقصودون في التسمية، ولو نظرت إلى هؤلاء الفتية: ﴿إِنَّهُمْ فَتِيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

وَرَدَدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ

قُلْنَا إِذْ أَشْطَطَا ﴿١٤﴾﴾ (الكهف: 13-14) تجدهم يُمثّلون موقف المتمسّكين بالقيم الصحيحة الذين يملكون الميزان

الرباني لقياس الأمور بها، الإيمان، الجرأة في الحق، المنطق السليم، الحجة المقنعة، التضرّع إلى الله سبحانه وتعالى، اتخاذ الأسباب الظاهرة في مقارعة الباطل، يعقب كل ذلك العناية الربانية بهم وتسخير جزء من الكون لحمايتهم وحفظهم، ثم نصره دعوتهم -ولو بعد حين.

إن أصحاب الكهف أنموذج فريد للوقوف في وجه الباطل، وسيرتهم مثال لمن يبطل ويفتن في دينه، لذا كانت هذه التسمية أيضًا مناسبة للموضوعات في سورة الكهف حيث تمثل العنصر البشري المفتتن -والله أعلم بمراده وبأسرار كتابه.

المبحث الثاني: المناسبات بين السور

إنَّ القول بوجود المناسبات بين سور القرآن - كما هو حاصل بين آياته - يعتمد على القول بأن ترتيب السور فيه توقيفي لا اجتهادي.

لذا كان لا بُدَّ - قبل التعرف على أنواع المناسبات بين السور - من عرض معنى السورة أولاً، ثم بيان المذهب في ترتيب السور، وإليك تفصيل ذلك:

المطلب الأول: تعريف السورة وترتيب السور في القرآن الكريم

أولاً: معنى السورة لغةً

(سُور): السَّيْنُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى عُلُوِّ وَارْتِفَاعٍ...¹، قال النابغة²: ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب³ أي: منزلة ومرتبة عالية لا ينالها ملك⁴. وقد جمع صاحب القاموس معاني السورة في اللغة بقوله: "والسُّورَةُ: المَنْزِلَةُ، ومن القرآنِ معروفة، لِأَنَّهَا مَنْزِلَةٌ بَعْدَ مَنْزِلَةٍ، مَقْطُوعَةٌ عَنِ الأُخْرَى، والشَّرْفُ، وما طَالَ من البِنَاءِ وَحَسَنٌ، والْعَلَامَةُ، وَعَرَقٌ من أَعْرَاقِ الحَائِطِ"⁵.

ومن الملاحظ أنَّ مادة (سور) في اللغة تجمع أكثر من معنى، فهي تأتي بمعنى: العلو والرفعة، والمنزلة، والشرف والتميز، والعلامة.

¹ انظر: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص115.

² النابغة: هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، يكنى أبا أمامة، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز، كان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولا حشو، وعاش عمراً طويلاً، توفي نحو (18 ق هـ). انظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت: 276هـ): الشعر والشعراء، (القاهرة- دار الحديث، د. ط، 1423هـ)، ج1، ص156. وانظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص54-55.

³ انظر: عبد الساتر، عباس: ديوان النابغة الذبياني، (بيروت- دار الكتب العلمية، ط3، 1416هـ-1996م)، ص28.

⁴ انظر: السخاوي، علي بن محمد، (ت: 643هـ): جمال القراء وكمال الإقراء، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم، (بيروت- مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1419 هـ - 1999 م)، ج1، ص191.

⁵ الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م)، ج1، ص411. وانظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د. ط، د. ت)، ج1، ص462.

ثانياً: معنى السورة اصطلاحاً

وردت عدة تعاريف للسورة في الاصطلاح، منها:

1- قول الجعبري في السورة بأنها: قرآنٌ يشتمل على أي نوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات¹.

2- وقال غيره²: "هي الطائفة المترجمة توقيفاً؛ أي: المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه

وسلم"³.

ويمكن الجمع بين التعريفين السابقين للسورة بالقول بأن السورة هي: طائفة من القرآن مستقلة، تشتمل على أي ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات. أو هي: الطائفة من القرآن المسماة باسم خاص، بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي

من الملاحظ أنّ هناك توافقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للسورة، وقد أبان الزرقاني رحمه الله- عن هذا التوافق في كتابه "مناهل العرفان" فقال: "والسورة -كما قال علماء اللُّغة- مأخوذة من سور المدينة، وذلك إمّا لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة، وآية بجانب آية، كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة، ويقام كل صف منه على صف، وإمّا لما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية، وإمّا لأنّها حصن وحماية لمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من كتاب الله

¹ ذكر الزركشي قوله في البرهان. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص264. وهذا المعنى ذكره ابن عاشور (في التحرير والتوير) وأضاف عليه. انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت:1393هـ): التحرير والتوير «تحرير المعنى السديد وتوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس -الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984هـ)، ج1، ص84.

² ذكر هذا الحد الشيخ العلامة محيي الدين الكافجي (ت:879هـ) -شيخ السيوطي- في تصنيف له. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): إتمام الدراية لقراء النقاية، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، (بيروت- دار الكتب العلمية - ط1، 1405هـ 1985م)، ص21.

³ السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص186.

القرآن، ودين الحق الإسلام، باعتبار أنَّها معجزة تخرس كل مكابر، ويحقُّ الله بها الحقَّ ويبطلُ الباطل، ولو كره المجرمون. أشبه بسور المدينة، يحصنها ويحميها غارة الأعداء وسطوة الأشقياء"¹.

رابعاً: ترتيب السور القرآنية، وآراء العلماء في ذلك:

إذا كان الإجماع قد تحقَّق حول ترتيب الآيات وأنَّه توقيفيٌّ موحى به²، فهو لم يتحقَّق حول ترتيب سور القرآن على ما هي عليه في المصحف الآن، فاختلَّفت أقوال العلماء في ذلك على ثلاثة أقوال³:

القول الأول: أنَّ ترتيب السور على ما هو عليه الآن في المصحف، كان باجتهاد من الصحابة وعزا أبو جعفر بن الزبير الغرناطي هذا القول إلى الجمهور⁴، وممَّن ذهب إليه من العلماء: الإمام مالك⁵، والقاضي أبو بكر⁶ فيما اعتمده من قوليه⁷.

¹ الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت)، ج1، ص350.

² قال أبو جعفر بن الزبير: "ترتيب الآيات في سورها وقع بتوقيفه -صلى الله عليه وسلم- وأمره، من غير خلاف في هذا بين المسلمين". انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ج1، ص182. وانظر للأدلة على هذا الإجماع في كتاب الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص346-348.

³ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257.

⁴ انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص182. وتبعه عليه الزركشي والسيوطي. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257. وانظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص216.

⁵ هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأعلام ومؤسس المذهب المالكي. عربي الأصل، من التابعين، ولد بالمدينة المنورة سنة (93هـ) وعاش كل حياته بها ولم يرحل منها إلا إلى مكة حاجاً. ومات في المدينة سنة (179هـ) ودفن بالبقيع. انظر: ابن سعد، محمد، (ت: 168هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: زياد محمد منصور، (المدينة المنورة-مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1408هـ)، رقم: 372، ص433-444. وانظر: ابن منجويته، أحمد بن علي، (ت: 428هـ): رجال صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، (بيروت-دار المعرفة، ط1، 1407هـ)، رقم: 1544، ج2، ص220.

⁶ الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرئاسة في مذهب الأشاعرة، وقد ولد في البصرة سنة (338هـ)، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة (403هـ)، وقد كان جيد الاستنباط، سريع الجواب، وله كتاب "إعجاز القرآن" وهو قيم وجزل في مادته.

انظر: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت: 463هـ): تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت-دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ)، ج2، ص457. وانظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج4، ص269-270.

⁷ الباقلائي، محمد بن الطيب، (ت: 403هـ): الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، (عمان-دار الفتح، بيروت-دار ابن حزم، ط1، 1422هـ-2001م)، ج1، ص279-281. وذكر ذلك الزركشي. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257.

وقد استدلووا على رأيهم هذا بما يلي¹:

1. اختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور عن مصحف عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-، فلو كان توقيفياً لاتفقت مصاحفهم كما اتفقت في ترتيب الآيات، فقد كان مصحف علي مرتباً على النزول، وأول مصحف ابن مسعود البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ومصحف أبي الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران².

2. ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صَلَّى بالبقرة، ثم النساء، ثم بآل عمران في ركعة³. (قال عياض: هو دليل لكون ترتيب السور وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف)⁴.

القول الثاني: أن ترتيب السور على ما هو في المصحف توقيفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فالصحابه -رضوان الله عليهم- حينما خافوا ذهاب بعض القرآن باستشهاد حفظته، جمعوه، وكتبوه، كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يقدّموا أو يؤخروا شيئاً، وعُزي هذا القول إلى الجمهور؛ مستنداً به على الزركشي والسيوطي في عزوهم القول الأول إليهم⁵.

¹ انظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن: دراسات في علوم القرآن، (الرياض، ط2، 1424هـ-2003م)، ص110-111. وانظر: عباس، فضل حسن، (ت:1432هـ): إتيان البرهان في علوم القرآن، (الأردن -دار النفائس، ط2، 1436هـ-2015م)، ج1، ص446.

² انظر: السيوطي: إتيان في علوم القرآن، ص216.

³ انظر: مسلم، ابن الحجاج القشيري، (ت:261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت -دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، كتاب صلاة المسافرين وقصرها: باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم:772، ج1، ص536.

⁴ أحمد، عبد الله بن أحمد: إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، (جامعة الفاتح -كلية الآداب- قسم اللغة العربية، ط2، 1374هـ-2006م)، ص127.

⁵ نقد الدكتور فضل عباس في "إتيان البرهان" عزو السيوطي القول الأول إلى الجمهور، وخطأه في ذلك، ونسب إلى الجمهور القول الثاني القاضي بأن ترتيب السور توقيفي. انظر: عباس: إتيان البرهان في علوم القرآن، ج1، ص442.

ومِمَّن قال به من العلماء: أبو بكر الأنباري¹، الذي قال: "اتساق السور كاتساق الآيات والحروف كله عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدّم سورةً أو أخَّرها فقد أفسد نظم القرآن"².

ومِمَّن انتصر لهذا المذهب أيضاً: أبو جعفر النُّحَّاس³، والباقلاني في أحد قوليهِ⁴، وابن الحِصَّار⁵، والكرماني⁶ في "البرهان في متشابه القرآن"⁷، وابن الزبير الغرناطي في مناسباتهِ⁸، والزرکشي في البرهان⁹.

واستدلَّ أصحاب هذا القول بما يلي¹⁰:

1. إجماع الصحابة على موافقة عثمان رضي الله عنه على هذا الترتيب وترك ما سواه ولم يخالف منهم أحد، إذ لو كان الترتيب بالاجتهاد لظَلَّ الصحابة على اجتهادهم، ولتمسَّكوا في الترتيب بمصاحفهم.

¹ ابن الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظاً للشعر والأخبار، ومن كتبه: (الزاهر) في اللغة، و(خلق الإنسان)، و(الأمثال)، و(الأضداد)، وأجل كتبه (غريب الحديث). توفي ببغداد سنة (328هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج6، ص334.

² ذكر قوله في التوقيف الزركشي. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص260.

³ ذكر قوله في التوقيف الزركشي. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص258. وأبو جعفر النُّحَّاس هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، مفسر، أديب. من نظراء نبطويه وابن الأنباري. من مصنفاته: (تفسير القرآن)، و(إعراب القرآن) و(ناسخ القرآن ومنسوخه)، توفي بمصر سنة (338هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص208.

⁴ انظر: الباقلاني: الانتصار للقرآن، ج1، ص60.

⁵ ذكر قوله في التوقيف السيوطي. انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ص219. وابن الحِصَّار هو: أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن مُحَمَّد بن يَشْر بن غَرَسِيَّة القرطبي المالكي، مولى بني فطيس، من أجل علماء وقته، علماً وعقلاً وفقهاً، وسمناً وعفة وهدياً، أحد الأندكيا المتقنين، ولد أول سنة (364هـ)، صحب ابن تَكوان قاضي الجماعة، واختاره للقضاء في الفتنة، أيام الحمودية. فعمل مدتهم وبعدهم. توفي في منتصف شعبان سنة (422هـ) وله (85) سنة. انظر: القاضي عياض، عياض بن موسى (ت544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، المغرب، المحمدية - مطبعة فضالة، ط1، 1981-1983م)، ج8، ص10-11. وانظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج13، ص165، رقم: 3939. وانظر: سعيد، قاسم علي: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (الإمارات العربية المتحدة- دبي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1423هـ-2002م)، رقم: 545، ص622-623.

⁶ الكرماني: هو محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء، عالم بالقراءات. صاحب تصانيف عدة منها: (باب التفاسير) والمعروف بكتاب (العجائب والغرائب) في مجلدين، و(باب التأويل) و(البرهان في متشابه القرآن)، توفي سنة (505هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج7، ص167-168.

⁷ الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، (ت: 505هـ): أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، (دار الفضيلة، د.ط، د.ت)، ص68.

⁸ انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص183.

⁹ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص38، ص260.

¹⁰ انظر لهذه الأدلة: الرومي: دراسات في علوم القرآن، ص109. وانظر: الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص354.

وَيُمْكِنُ أَنْ يُعْتَرَضَ عَلَى هَذَا الدَّلِيلِ: بَأَنَّ إِجْمَاعَهُمْ عَلَى تَرْتِيبِ عَثْمَانَ لَا يَشْتَرِطُ لَهُ أَنْ يَسْتَدَّ إِلَى التَّوْقِيفِ
عَنِ الرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ وَافَقُوا عَثْمَانَ عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ تَوْحِيدًا لِكَلِمَةِ الْأُمَّةِ وَقَطْعًا لِأَسْبَابِ
الِاخْتِلَافِ كَمَا وَافَقُوا عَلَى الْاِقْتِصَارِ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ.

2. واستدلوا أيضاً بما أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جده
أوس بن حذيفة قال: "كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْلَمُوا مِنْ تَعْيِيفِ مَنْ بَنِي
مَالِكٍ..". الحديث، وفيه... "فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: كَيْفَ نُحَرِّبُونَ الْقُرْآنَ؟
قَالُوا: نُحَرِّبُهُ ثَلَاثَ سُورٍ، وَخَمْسَ سُورٍ، وَسَبْعَ سُورٍ، وَتِسْعَ سُورٍ، وَإِخْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً،
وَجِزْبُ الْمُفْصَلِ مِنْ ق حَتَّى يُخْتَمَ"¹.

قال ابن حجر: "فهذا يدل على أن ترتيب السور على ما هو في المصحف الآن كان في عهد النبي صلى
الله عليه وسلم"².

ولكنَّ حديث حذيفة هذا دلالة غير ظاهرة -فيما يفهم- على أن ترتيب السور كلها توقيفي، إلا في ترتيب
حزب المفصل خاصة بخلاف ما سواه³، وهذا ما أشار إليه ابن حجر نفسه -الذي استدلل بهذا الحديث-
حين قال: "ويحتمل أن الذي كان مرتباً حينئذٍ حزْبُ الْمُفْصَلِ خاصة بخلاف ما عداه"⁴.

3. وقال السيوطي رحمه الله تعالى: "ومِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَوْقِيفِي كَوْنُ الْحَوَامِيمِ رُتِبَتْ وَلاَءٌ "يعني متواليه" وكذا
الطواسين، ولم تُرْتَبْ الْمُسَبِّحَاتُ وَلاَءٌ، بل فصل بين سورها وفصل بين "طسم" الشعراء و"طسم" القصص

¹ أنظر: أبو داود: السنن، كتاب الصلاة: باب تحزيب القرآن، رقم: 1393، ج2، ص55. وأخرجه أيضاً: ابن ماجه، محمد بن يزيد،
(ت:273هـ): سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى الباي الحلبي، د.ط، د.ت)، كتاب
الصلاة: باب في كم يستحب ختم القرآن، رقم: 1345، ج1، ص427. وابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم: 16166، ج26،
ص88-89. وإسناده ضعيف. انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): ضعيف أبي داود، (الكويت -مؤسسة غراس، ط1،
1423هـ)، رقم:326، ج2، ص69.

² ابن حجر، أحمد بن علي، (ت:852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت -دار المعرفة، د.ط، 1379هـ)، ج9، ص42-43.

³ انظر: الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص355.

⁴ ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج9، ص43.

بـ "طس" مع أنها أقصر منهما، ولو كان الترتيب اجتهاداً لذكرت المُسبَّحات ولاءً، وأخرت "طس" عن القصص"1.

إلا أن استدلال السيوطي هذا يمكن رده: بأن ما أورده لا يلزم منه أن ترتيب السور توقيفي فعدم ترتيب المسبحات ولاءً قد يكون لمراعاة مناسبات أخرى أهم من مناسبة فواتح السور، ولهذا مال السيوطي نفسه إلى رأي آخر وهو رأي الإمام البيهقي كما سيأتي بيانه.

القول الثالث: أن ترتيب السور كان بعضه بالتوقيف، وبعضه الآخر باجتهاد من الصحابة، والذي اشتهر عنه هذا القول: ابن عطية الأندلسي² كما ذكر الزركشي في البرهان³، ونقل تعقيب ابن الزبير عليه "بأن الآثار تشهد بأكثر مما نص عليه ابن عطية، ويبقى القليل منها يمكن أن يجري فيه الخلاف"⁴.

وأصحاب هذا القول ليس لديهم أدلة مستقلة لما ذهبوا إليه، بل أخذوا من أدلة كل من الفريقين السابقين فاستندوا إلى أدلة الرأي الثاني وهو أن ترتيب السور توقيفي أما القسم الاجتهادي فإن أدلته ضعيفة لا تستند إلى دليل قوي، ولكنهم عوّلوا على حديث ابن عباس الآتي ذكره.

وذهب البيهقي⁵ في المدخل⁶، إلى أن القرآن كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم -توقيفي إلا الأنفال، وبراءة، فإن ترتيبهما باجتهاد من عثمان رضي الله عنه-، ووافق عليه الصحابة، وقد استدل على استثناء

¹ السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص219.

² ابن عطية الأندلسي: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد، مفسر فقيه، أندلسي، عارف بالأحكام والحديث، له مصنفات من أهمها: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في عشر مجلدات، توفي سنة: (542هـ). انظر: الزركلي: الأعلام، ج3، ص282.

³ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257.

⁴ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص258.

⁵ البيهقي: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور، صاحب السنن، ومن مصنفاته أيضا: (المعارف)، و(الأسماء والصفات)، و(دلائل النبوة)، و(الأدب) في الحديث، توفي سنة(458هـ)، انظر: حاجي خليفة: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، ج1، ص139. وانظر: الزركلي: الأعلام، ج1، ص116.

⁶ انظر: البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت:458هـ): المدخل إلى علم السنن، (اعتنى به وخرّج نقوله: محمد عوامة، القاهرة -دار اليسر، بيروت-دار المنهاج، د.ط، 1437هـ-2017م)، رقم: 1073، ص502.

هاتين السورتين بما أخرجه أحمد، وغيره، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُم عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمُثَانِي، وَالْيَ بَرَاءَةٌ، وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ، فَفَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا -قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: بَيْنَهُمَا- سَطْرًا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ، مَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ مِنَ الزَّمَانِ، يُنَزَّلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ إِذَا أُنزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ وَيَقُولُ: ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ كَذَا وَكَذَا، وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَاتِ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنَزَّلُ عَلَيْهِ الْآيَةَ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَبَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، فَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَخُصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، وَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ تَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ»¹.

وتابعه السيوطي على ذلك فقال: "والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو: أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال..."².

والمختار من هذه الأقوال: أن تأليف السور على هذا الترتيب الذي عليه المصحف توقيفي، لا مجال للاجتهاد فيه، مع ما في أدلة هذا الرأي من الاحتمال كما ذكر إلا أنه أقوى الآراء وذلك للأمر التالية:

¹ ابن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم: 399، ج1، ص459-460. والحاكم، محمد بن عبد الله، (ت:405هـ): المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفیٰ عبد القادر عطا، (بیروت - دار الکتب العلمیة، ط1، 1411هـ-1990م)، رقم: 2875، ج2، ص241. وهذا حديث ضعيف الإسناد منكر المتن.

² السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص219. وانظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (بيروت - دار الکتب العلمیة، ط1، 1406هـ-1986م)، ص89. وانظر: الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص357.

1. أن استدلال أصحاب القول الأول باختلاف مصاحف الصحابة، لا يصلح دليلاً لما ذهبوا إليه، ويُجاب عنه بما يلي¹:

أ. أن مصحف عثمان -رضي الله عنه وأرضاه- لو كان اجتهادياً لما وافقوه على ذلك، لأنه ليس لمجتهد أن يقلد مجتهداً آخر، كما هو مقرر عند الأصوليين.

ب. ثم إن مصاحف الصحابة كانت فردية خاصة بهم، جمعت إلى القرآن بعض مسائل العلم، وبعض المأثورات، فهي إلى كتب العلم أقرب منها إلى المصاحف المجردة.

ج. كما أن الذين استنسخوا المصاحف العثمانية، لم يعتمدوا على ما عند الصحابة، بل اعتمدوا على جمع أبي بكر، الذي اعتمد على ما جُمع بين يدي النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن هنا فقد عدلوا جميعاً عن هذه المصاحف، وساروا على ما سار عليه الصحابة جميعاً، ووافقوا على مصاحف عثمان، وما فيها من لفظ وترتيب، وترك ما سواها، فلو كان الترتيب بالاجتهاد لظلوا على اجتهادهم.

2. وأما استدلالهم بأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد صلى بالبقرة، والنساء، وآل عمران في ركعة فلا يدل على ما ذهبوا إليه كما قال السيوطي، وعلل ذلك بقوله: "لأن ترتيب السور في القراءة ليس بواجب ولعلّه فعل ذلك لبيان الجواز"². والدليل إذا دخله الاحتمال، بطل به الاستدلال كما هو مقرر في الأصول.

وبهذا ظهر بطلان هذا القول، ويؤكد الألوسي ذلك بقوله: "وبالجملة بعد إجماع الأمة على هذا المصحف، لا ينبغي أن يصاح إلى آحاد الأخبار، ولا يشرب إلى تطلع غرائب الآثار..."³.

¹ انظر: القطان: مباحث في علوم القرآن، ص144. وانظر: مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص78-79. وانظر: أبو شهبه، محمد بن محمد، (ت:1403هـ): المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة -مكتبة السنة، ط2، 1423هـ-2003م)، ص328.

² السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص220.

³ الألوسي، محمود بن عبد الله، (ت:1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت -دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ)، ج1، ص28.

3. وأما ما ذهب إليه أصحاب القول الثالث، فإنه يحمل في طياته الرّد وعدم القبول؛ وذلك لأنّ الترتيب إما أن يكون توفيقياً وإما أن يكون توفيقياً، أما أن يشتمل عليهما معاً فترجيحٌ دون مُرجّح، ولعلّه جاء كحل للنزاع بين القولين السابقين، ولذلك عمل بأدلة كل منهما، إذ ليست له أدلة خاصة كبقية الأقوال.

4. وأما استدلالهم بحديث ابن عباس فغير مُسلم به؛ وذلك لأنّ الحديث مقدوحٌ فيه من حيث السند والمتن. أ. أمّا من حيث السند، فإنّ رواية ابن عباس لم تصح لقول الترمذي فيه: "إنّه حسنٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس، ويزيد الفارسي هذا مجهول الحال"¹، وقد اختلف فيه المحدّثون هل هو يزيد بن هرمز المشهور بأنه ثقة أو غيره، والصحيح كما قال العلامة ابن حجر أنّه غيره²، وقد صَعَفَ الألباني -رحمه الله- أيضاً هذه الرواية³، لذا فلا يصح الاعتماد عليها في ترتيب القرآن المتواتر.

ب. أمّا من حيث المتن فمعارضٌ بما ثبت في السنّة من أنّه صلى الله عليه وسلم كان يتلو القرآن ويعرضه كلّهُ في رمضان على جبريل عليه السلام مرة كل عام⁴، وفي العام الذي تُوقِي فيه عارضه القرآن مرتين، فأين كان يضع صلى الله عليه وسلم هاتين السورتين في قراءته هذه، فالظاهر أنّه كان يضعهما في مكانهما المعلوم المُجمَع عليه، وإن فات ذلك عثمان رضي الله عنه أو نسيه فلم يذكره في الرواية السالفة على فرض صحتها⁵.

¹ المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، (ت:1353هـ): تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت - دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج8، ص381.

² ذكر ذلك: أحمد، عبد الله بن أحمد: إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، ص128.

³ انظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): ضعيف أبي داود، (الكويت - مؤسسة غراس، ط1، 1423هـ)، رقم: 140، ج1، ص306. وانظر: الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): صحيح وضعيف سنن الترمذي، (برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني-، الإسكندرية - مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة).

رقم:3086، ج7، ص86.

⁴ انظر: أحمد، إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، ص128.

⁵ انظر: المرجع السابق، ص128.

ج. وأما عدم كتابة البسملة بين الأنفال وبراءة، فلأنها لم تنزل في أول براءة كما نزلت في أول جميع السور عداها، ولولا ذلك لناقشه الصحابة وعارضوه عند كتابة القرآن¹.

ويرد عليه أيضاً من وجوه أخرى²:

أ. أنه على فرض التسليم بصحته فيجوز أن يكون عثمان حين إخباره لابن عباس لم يكن عنده شيء مسموع بشأن الترتيب بين السورتين، فلا ينافي أنه علم بعد ذلك.

ب. وإجماع العلماء على أن سورة الأنفال سورة برأسها غير سورة التوبة، قال الزركشي: إنَّ سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة بإجماع أهل الحل والعقد³.

5. كما أنَّ الذي قام بمهمة النسخ للمصاحف، مع النفر القرشيين في عهد عثمان -رضي الله عنه وأرضاه-

هو زيد بن ثابت، وهو ذاته أشرف على جمع القرآن في الصحف التي نسخت منها المصاحف على

عهد أبي بكر -رضي الله عنه-، وهو كذلك أحد كتَّاب الوحي، وشهد العرضة الأخيرة للقرآن، وسمع

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقرأ القرآن على هذا الترتيب، وإلا على أي ترتيب كان الرسول -صلى

الله عليه وسلم- يقرأ القرآن..؟

وقد جعل ابن الزبير الغرناطي هذا الخلاف بين العلماء لفظياً، فقال: "إن كان بتوقيف منه -صلى الله عليه

وسلم- فلا مجال للخصم، وإن كان مما فوض فيه الأمر إلى الأمة بعده، فقد أعمل الكل من الصحابة جهده،

وهم الأعلیاء بعلمه، والمُسَلَّم لهم في وعيه وفهمه"⁴.

¹ انظر: المرجع السابق، ص129.

² انظر: الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1، ص361. وانظر: أبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص330. وانظر إلى مناقشة فضل عباس للحديث سندا ومتنا في: إتقان البرهان في علوم القرآن، ج1، ص447-451.

³ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص164.

⁴ ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص183. وتبعه على ذلك الزركشي. انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص257.

وإذا كان العلماء قد تباينت آراؤهم ظاهرياً، فإنَّ الرأي الراجح أنَّ ترتيب السور كان توقيفياً، وذلك لتظافر النصوص على أنَّ الأغلب من سور القرآن معلومة الترتيب وقت نزول الوحي، كما أنَّ هذا الترتيب يقوي الوحدة المعنوية بين سور الكتاب المبين، ويقطع الطريق أمام المشككين والطاعنين، أضف إلى ذلك: إجماع الأمة بدءاً من عصر الصحابة على هذا الترتيب، فصار الإلتزام به أمر لا بُدَّ منه¹.

المطلب الثاني: المناسبة بين افتتاح السورة وخاتمة ما قبلها

ومن أنواع المناسبات بين سور القرآن الكريم اتصال فاتحة السورة بخاتمة ما قبلها، وهذا النوع من المناسبة قد كثر اشتغال المفسرين² في بيانه، فقد اعتنى الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب) بهذه المناسبة، وأكثر - رحمه الله- من تقرير المناسبات بين السور؛ المبنية على رابطةٍ وعلاقةٍ بين أول السورة وآخر سابقتها، كما فعل ذلك عند تفسيره سور: الواقعة³ والممتحنة⁴ والصف⁵ والجمعة⁶ والمنافقون⁷ والتغابن⁸ والطلاق⁹ والتحريم¹⁰، حيث لم يكتفِ ببيان مناسبة قائمةٍ على اعتبار الموضوع الكلي أو الجزئي لهذه السور مع سابقتها، بل أُرِدَف ذلك ببيان مناسبات فواتح هذه السور لخواتيم سابقتها مع الإشارة إلى نوع العلاقة¹¹ التي بنيت عليها تلك المناسبات. ومثال ذلك:

¹ الطوير، حسن مسعود: المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم، (بيروت، ط1، د.ت)، ص 142.

² أمثال: الإمام الرازي في تفسيره الكبير، والزرکشي في البرهان، والباقعي في نظم الدرر، والسيوطي في تناسق الدرر، والمراغي في تفسيره.

³ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج29، ص384.

⁴ انظر: المرجع السابق، ج29، ص515.

⁵ انظر: المرجع السابق، ج29، ص526.

⁶ انظر: المرجع السابق، ج30، ص537.

⁷ انظر: المرجع السابق، ج30، ص545.

⁸ انظر: المرجع السابق، ج30، ص551.

⁹ انظر: المرجع السابق، ج30، ص558.

¹⁰ انظر: المرجع السابق، ج30، ص568.

¹¹ انظر لأنواع العلاقات التي بنى عليها الرازي مناسبات فواتح السور بخواتيم سابقتها في كتاب الدكتور: المصري، رأفت: المناسبات القرآنية عند الإمام الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، إشراف: الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، (عمان، الأردن - دار النور المبين، ط1، 2016م)، ص322-331.

بيانه للمناسبة بين فاتحة سورة الطلاق وخاتمة سورة التغابن، إذ إنه سبحانه ختم سورة التغابن بقوله: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (التغابن: 18) وفيه إشارة إلى كمال علمه وشموله كل شيء من الغيب والشهادة، افتتح سورة الطلاق بالإشارة إلى كمال علمه بمصالح النساء، وبالأحكام المخصوصة بطلاقهن، فكانه بين ذلك الكلي بهذه الجزئيات¹.

وأشار الزركشي لهذا النوع من المناسبات بقوله: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى"²، ومثّل عليه بقوله تعالى في آخر سورة (الطور): ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِذْ بَرَ الْنُجُومِ﴾ (الطور: 49)، ثم قال في أول السورة التي تليها: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (النجم: 1) فبدأت السورة بالقسم بواحد من هذه النجوم، التي أدبرت مع ضوء الصباح الوليد، ومثله أيضاً: افتتاح سورة الحديد بالتسييح بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد: 1) فإنه في غاية المناسبة لختام سورة الواقعة التي قبلها، والتي أمرت به بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة: 96)³.

ويمكن أن نضيف لما ذكره الزركشي: أن بداية الحديد وقع موقع العلة لآخر ما قبلها -الواقعة- من الأمر بالتسييح فكانه قيل: سَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ، لأنه سَبَّحَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

كما واهتم البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) بإظهار هذا النوع من المناسبات، ومثاله: بيانه للترابط بين خاتمة الإسراء وفاتحة الكهف بقوله: "لَمَّا خُتِمَتْ سُورَةُ الْإِسْرَاءِ بِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمْدِ عَنِ النَّزْهِ عَنْ صِفَاتِ النِّقْصِ، لِكَوْنِهِ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ

¹ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج30، ص558.

² الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص38.

³ انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص38. مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص82.

وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ (الإسراء: 111)؛ أُفْتِحت سورة الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهاً بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ (الكهف: 1)¹.

والذي يظهر للباحثة تشابه ختام السورة السابقة وافتتاح هذه، فإن كلاً منهما ذكر الحمد. فبدأت هذه السورة بحمد الله، وكان هذا البدء جواباً على ختام السورة التي قبلها، واستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى في الآية الأخيرة منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ (الإسراء: 111). فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف: 1).

كما وأفرد السيوطي كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) ليتناول هذه المناسبة وهو القائل: "إن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له، وإطناب لإيجازه وقد استقرّ معي ذلك في غالب سور القرآن طولها وقصيرها؛ فعلى سبيل المثال سورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة"².

وفي العصر الحديث نجد أنّ المراغي في تفسيره المسمى باسمه قد تناول هذه المناسبة بشيء من التفصيل، ومن أمثلة ذلك: بيانه للمناسبة بين فاتحة سورة الحج وخاتمة سورة المؤمنون، حيث قال: "وجه المناسبة

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج12، ص2.

² السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، (دار ومكتبة الهلال، ط1، 1986م)، ص4.

بينها وبين ما قبلها من وجوه، منها: أنه تعالى لما ختم سورة الحج بخطاب المؤمنين وأمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات لعلهم يفلحون، حَقَّقَ فلاحهم في بداية سورة المؤمنون¹.

والذي يظهر أنَّ فاتحة المؤمنون كانت كالتتمة لخاتمة الحج، فلما ختم سبحانه سورة الحج بالإذن في القتال، افتتح سورة المؤمنون بذكر الشروط التي يتوقف عليها نصر المؤمنين وفلاحهم.

وهناك أمثلة أخرى لهذا النوع من المناسبات، ولكنني أقتصرُ على ما ذكرته سابقاً لتخصُّص الفصل الأخير دراسةً تطبيقيةً على سور الحواميم.

وهكذا نجد أنَّ المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها تجعل من سور القرآن حلقات متلاحمة الأجزاء متلائمة الأطراف، متصلٌ بعضها ببعض.

المطلب الثالث: المناسبة بين مضمون السورة ومضمون التي تليها

ومن وجوه المناسبات بين السور أن يُنظر إلى مضمون كل سورة ومضمون ما قبلها وما بعدها، وهذا النوع هو المعتاد الأكثر من بيان الرازي للمناسبات بين السور، وطريقته في ذلك: أنه يُبيِّن الموضوع العام لكلٍ من السورتين، ثم يظهر بعد ذلك المناسبة إما بين الموضوعين العامين لكل من السورتين، وإما بين موضوعين جزئيين تناولتهما السورتان فيبيئتهما.

- أما الأول فأمثلته عديدة، منها: بيانه لوجه المناسبة بين سورتي الماعون والكوثر، حيث أجرى المقابلة التامة بين أجزاء السورتين، حتى لكأنهما سورةً واحدة، فقال: أنَّ سورة الكوثر كالمقابلة للتي قبلها؛ لأنَّ السابقة وصف الله تعالى فيها المناقق بأربعة أمورٍ: البخل، وترك الصلاة، والرياء، ومنع الزكاة، فذكر عزَّ وجل في هذه السورة ما يقابل تلك الصفات الأربعة، فذكر في مقابلة البخل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ

¹ انظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ): تفسير المراغي، (مصر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ-1946م)، ج18، ص3.

الْكَوْثَرِ ﴿١﴾ (الكوثر:1) أي: الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة: ﴿فَصَلِّ..﴾ (الكوثر:2) أي:

دُمْ عَلَى الصَّلَاةِ، وفي مقابلة الرياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ (الكوثر:2) أي: لرضاه لا للناس، وفي مقابلة منع

الماعون: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ (الكوثر:2) وأراد به سبحانه التصدُّقُ بلحوم الأضاحي¹.

والذي يتبيَّن من كلام الإمام الرازي -الأنف الذكر- أنَّ العلاقة بين السورتين هي علاقة تضاد، وهي من أنماط التناسب التي ذكرها العلماء، وعلاقة الضدية هي التي تُبيحُ التماسك، وهي التي تحققت بين آيات سورة الماعون التي وصفت المنافق، وآيات سورة الكوثر التي ذكرت ما يقابل تلك الصفات.

- وأما الثاني فمثاله: بيانه وجه المناسبة بين سورة الصف وما قبلها -المتحنة-، حيث قرّر المناسبة

بينهما باشتراكهما في طَرَقِ موضوعاتٍ جزئيةٍ تناولتها كلٌّ من السورتين، فقال: "وجه التعلُّق بما قبلها

هو أن في تلك السورة بيان الخروج جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته بقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا

فِي سَبِيلِي وَأَبْتَغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ (المتحنة:1)، وفي هذه السورة بيان ما يحمل أهل الإيمان، ويحثهم على

الجهاد بقوله تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ

مَرصُوفٌ﴾ (الصف:4)"².

فمن المعلوم أنَّ ما نبّه عليه الرازي في وجه المناسبة بين السورتين إنما هو جزئية من موضوع كل منهما،

ليس الموضوع العامّ للسورة خصوصاً ما يتعلّق بسورة المتحنة.

¹ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج32، ص307.

² الرازي: التفسير الكبير، ج29، ص526.

فسورة الصف اشتملت على الحث على الجهاد والترغيب فيه من خلال بيان الجهاد الذي يحبه ويرضاه، وفي هذا تأكيداً للنهي الذي تضمنته السورة السابقة -المتحنة- من اتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، لأنه لا يجتمع في قلب واحد أن يهاجر جهاداً في سبيل الله وابتغاء مرضاته، مع مودة أعداء الله.

وهكذا يتضح أن الرازي -رحمه الله- حين يبيّن المناسبات بين السورتين يراعي موضوعهما العام أو شيئاً من موضوعاتهما الجزئية، فيربط بينهما بذلك.

ومن النماذج الأخرى لهذا النوع من المناسبات: مناسبة مضمون سورة النور لمضمون سورة المؤمنون التي قبلها، وقد بيّن هذا التناسب الألوسي في تفسيره حيث قال: "أنه سبحانه لما قال في مطلع سورة المؤمنون: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (المؤمنون:5)، أتبعه في سورة النور بذكر أحكام من لم يحفظ فرجه من الزناة، وما اتصل بذلك من شأن القذف، وقصة الإفك، والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنى، والاستئذان الذي جعل من أجل النظر، والحث على الزواج حفظاً للفروج، وأمر من عجز عن مؤنه بالاستعفاف وحفظ فرجه، والنهي عن إكراه الفتيات على الزنى، وكل هذه الأحكام التي تدعو إلى حفظ الفروج -إما بصورة نظرية أو عملية- وتلتقي مع سورة المؤمنون في هذا الهدف النبيل"¹.

وأضاف سعيد حوى وجهاً آخراً من وجوه التناسب، فقال: تتحدث سورة النور عن أحكام تُطالب بها الأمة الإسلامية، وتتحدث عن أحكام لها صلة بالنظام الاجتماعي للأمة الإسلامية، ولذلك نجد سورة المؤمنون تتحدث عن الوحدة الإسلامية خلال العصور؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون:52)، فالسورة تتحدث عن موضوع وحدة الأمة الإسلامية، وتُتكرر موضوع تقطيع أمر الأنبياء والأخذ ببعضه وترك بعضه؛ مقدمة لسورة النور².

¹ الألوسي: روح المعاني، ج9، ص273.

² انظر: حوى، سعيد بن محمد، (ت:1409هـ): الأساس في التفسير، (دار السلام، ط1، 1405هـ-1985م)، ج1، ص3613.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية على سور الحواميم

تمهيد:

قد سبقت الإشارة فيما تقدّم إلى مناسبة وصلة افتتاحية السورة بخاتمة ما قبلها، وقد اتّضح ذلك بعرض بعض النماذج من سورٍ متفرقةٍ ليُتَبَيَّنَ مقصد الشارع الحكيم في هذا الربط، وحتى تتعرَّزَ هذه الصورة فقد وقع الاختيار على جُملةٍ سورٍ تتشابهُ فيها الفواتح، والمضامين، والتي يجمع بينها اسم (الحواميم) لتسليط الضوء من خلالها على علاقة الفواتح بالخواتيم بين كلِّ سورةٍ وما قبلها. وقبل ذلك لابدّ من الحديث بصورة إجمالية عن مصطلح الحواميم من حيث: تعريفه، وبيان سبب التسمية بذلك، وسبب هذا الترتيب والتوالي، وذكر الموضوعات المشتركة بين سور الحواميم.

الحواميم مصطلحاً وتحديداً: هي السور السبع المفتحة بالحروف المقطعة (حم)، وتسمى (آل حم)، أو (ذوات حم)¹، وهي السور ذات الأرقام في ترتيب المصحف: 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46 على التوالي، أولها سورة غافر، وآخرها سورة الأحقاف²، ويُطلق عليها أيضاً (عرائس القرآن)³.

ويفرّق بين الحواميم بإضافة أسماء سورها المشتهرة إليها، فيقال: حم غافر، وحم فصلت، وحم عسق، وحم الزخرف، وحم الدخان، وحم الجاثية، وحم الأحقاف. كما أنّ لبعضها أسماء خاصة تميّزها عن غيرها، وهي:

¹ انظر: الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دمشق - دار القلم، ط1، 1422هـ-2001م)، ص9، ص136.
² انظر: الصالح، صبحي إبراهيم، (ت:1407هـ): مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، ط24 كانون الثاني/يناير 2000م)، ص234.
³ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبرَاهِيمَ، قَالَ: «كُنَّ الْحَوَامِيمُ يُسَمَّيْنَ الْعَرَائِسَ». انظر: الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (ت:255هـ): سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (المملكة العربية السعودية - دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412 هـ - 2000 م)، كتاب فضائل القرآن: باب في فضل حم الدخان والحواميم والمسبحات، رقم:3465، ج4، ص2152. [تعليق المحقق] إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

غافر: تسمى: سورة الطول، وسورة المؤمن¹، وسورة حم الأولى².

فصلت: تسمى أيضاً: سورة حم السجدة، وسورة المصايح³، وسورة الأقوات⁴.

الجاثية: تسمى: سورة الشريعة، وسورة الدهر⁵.

سبب التسمية:

سميت الحواميم بهذا الاسم؛ لاشتغال بدايات هذه السور على الحرفين (حم)⁶، والذي يجمع على حواميم وحاميمات⁷، ويرى الجوهري أنّ الصواب أنّ تُجمَع الطَّوَّاسِيمُ والطَّوَّاسِينُ والحَوَامِيمُ الَّتِي هِيَ سُورٌ فِي الْقُرْآنِ بِذَوَاتٍ، وَتُضَافُ إِلَى وَاحِدٍ فَيُقَالُ: ذَوَاتُ طَسَمٍ، وَذَوَاتُ حَمٍ، وَإِنَّمَا جُمِعَتْ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ⁸.

سبب هذا الترتيب والتوالي:

إنّ الحواميم ترتبت؛ لاشتراكها في الافتتاح ب(حم)، وبذكر الكتاب، وأنها مكّية، فضلاً عن أنّها نزلت عقب الزمر متتاليات كترتيبها في المصحف⁹، وثمة لطيفة أخرى ذكرها السيوطي وهي: أنّه في كلّ ربع من أرباع القرآن توالى سبع سور مفتوحة بالحروف المقطعة، فهذه السبع مصدرية ب (حم)¹⁰.

¹ انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص194.

² لأنها أولى ذوات حم. انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت:817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1416هـ-1996م)، ج1، ص409.

³ انظر: الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج1، ص413. وانظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص194.

⁴ انظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص194.

⁵ انظر: الكرمانلي، محمود بن حمزة، (ت:505هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة - دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت - مؤسسة علوم القرآن، د.ط، د.ت)، ج2، ص1083. وانظر: السيوطي: الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص194.

⁶ انظر: الكرمانلي: غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج2، ص1037.

⁷ انظر: الألويسي: روح المعاني، ج12، ص293-295.

⁸ انظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت:393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت - دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ-1987م)، ج5، ص1907.

⁹ انظر: السيوطي: تناسق الدرر، ص115.

¹⁰ المرجع السابق، ص116.

الموضوعات المشتركة بين سور الحواميم:

ثمة خصائص مشتركة كثيرة بين سور الحواميم؛ منها¹:

1- التَّجَاور الموضعي والنُّزولي: أي أنَّ سور الحواميم متجاوراتٌ في التَّرتيب المصحفي لم يفصل بينها بسورة غيرها في النزول (السُّور 60-66)، أو في التَّرتيب في المصحف (40-46).

2- الافتتاح بذكر القرآن: افتتحت الحواميم بذكر الوحي والقرآن الكريم تأكيداً بأنَّه منزَّل من الله، وأنَّه صدق. غير أنَّ هذا المعنى المشترك بين الحواميم، موجودٌ أيضاً في كلِّ سورةٍ مفتوحةٍ بحروفٍ مقطَّعة؛ إذ قد تنبَّه العلماء² إلى أنَّ آيةٍ سورةٍ مفتوحةٍ بالمقطَّعات، لا بدُّ أن يُذكرَ فيها الانتصار للقرآن الكريم، وبيان غلبته.

3- التوجه في الكثير من آياتها إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم.

4- ذكر شيئاً من قصص الأنبياء والأمم السابقة، كقصة موسى ودعوته لفرعون، وما لقيه من أذى من فرعون وقومه.

5- ذكر الكثير من النعم الإلهية.

6- عرض الكثير من مشاهد القيامة ترغيباً في الجنة، وترهيباً من النَّار.

7- ذكر المؤمنين وصفاتهم، والكافرين ومواقفهم من القرآن.

وبناءً على هذه الملامح المشتركة بين هذه السور، يمكن القول إنَّها تُمثِّلُ بناءً موحداً كأنَّها سورة واحدة تمَّ تقسيمها إلى جزئيات متكاملة، تقوم فيها كل جزئية بوظيفة داخل هذه المنظومة السُّوريَّة.

¹ انظر: الحمداني، عبد القادر عبد الله: سور الحواميم: دراسة بلاغية تحليلية، (بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 2011م)، ص11. وانظر: وسترات، ويلايلاك: الانسجام النظمي في القرآن: مجموعة الحواميم أنموذجاً، (قرآنیکا، جامعة ملایا بماليزيا - مركز بحوث القرآن، م6، ع2، ديسمبر 2014م)، ص10.

² أمثال: الحافظ ابن كثير حيث قال في تفسيره: " كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة". انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت - دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1419هـ)، ج1، ص160.

المبحث الأول: المناسبة بين خواتيم سورة غافر وفواتح سورة فُصِّلَت

لا شكَّ أنَّ الله تعالى لما أنزل كتابه المُحَكَّم قد أحكَمَ ربط آيات السورة الواحدة ببعضها البعض، وأحكَمَ ربط السور المتتالية بصورة فريدة من الانسجام والتوافق، وألقى بظلالٍ فريدةٍ تحكُّم كلَّ هذا بصورةٍ رائعةٍ تدلُّ على حكمته تعالى، ودقَّةِ بيانه وتصويره.

ولا شكَّ أنَّ للقرآن المكي سماتٍ تجمعها من قصر الآيات، وقوة الجرس، وبناء العقيدة، والترغيب والترهيب، وإنَّ مجموعة الحواميم التي نحن بصددِها ما هي إلا حلقة في سلسلة القرآن المكي، وإنَّ أول عقدها سورة غافر، ولا بدَّ أنَّ هناك روابط أكثر خصوصية تربطها بما قبلها وما بعدها.

وفي هذا المبحث محاولة لإيجاد تلك الخصوصية بين خواتمها وفواتح فُصِّلَت التي تليها، وذلك من خلال عرض خواتيم غافر وفواتح فُصِّلَت، ثمَّ الحديث عن كُليِّ منهما بصورة مجملية، ثمَّ ذكر أقوال المفسرين في بيان التناسب بينهما والتعليق على أقوالهم، ثمَّ إضافة أوجه التناسب التي تظهر للباحثة، وقبل هذا لا بدَّ من الحديث بصورة إجمالية عن كلتا السورتين من حيث: ترتيب كل منهما، وموضوعها العام.

سورة غافر سورةٌ مكيَّةٌ بالاتفاق¹، نزلت بعد سورة الزمر، وقبل سورة فُصِّلَت، وهي أولُ سور الحواميم نزولاً، وآياتها خمسٌ وثمانون آية، وتُعَدُّ السورة الأربعون بحسب ترتيب المصحف، والستون في ترتيب نزول السور². ومعظم مقصود السورة: المنَّة على الخلق بالغفران، وقبول التوبة، وذكر وجوب التوحيد، وعرض تقلُّب الكفار بالكسب والتجارة، وبيان وظيفة حملة العرش، وتضرع الكفار في قعر الجحيم، وإظهار عدله تعالى في يوم الحساب، والتذكير بهلاك القرون الماضية، وذكر جوانب كثيرة من قصة موسى وهارون مع فرعون، وقصة مؤمن آل فرعون، وذكر عرض أرواح الكافرين على العقوبة، والوعد بالنصر للرسول، وإقامة أنواع الحجَّة

¹ حكى الإجماع ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (ت: 542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ)، ج4، ص545.

² انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج24، ص76.

والبرهان على أهل الكفر والضلال، مقابل وعد المؤمنين بإجابة الدعاء، وذكر أنواع العجائب من صنع الله، وعجز المشركين في العذاب، والتذكير بأن الإيمان عند اليأس غير نافع، ثم الحكم بخسران الكافرين¹.

سورة فُصِّلَتْ مكيَّةً أيضاً باتفاق أهل العلم²، نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الزخرف، وآياتها أربع وخمسون آية، وتُعدُّ السورة الحادية والأربعون بحسب ترتيب المصحف، والواحدة والستون في ترتيب نزول السور³.

ومعظم مقصود السورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفار عن قبوله، وذكر خلق الأرض والسماء، والتذكير بهلاك عاد وثمود، والترهيب من شهادة الجوارح على العاصين يوم القيامة، وعجز الكفار في جهنم، وبشارة المؤمنين بالخلود في الجنان، وتشريف الدعوة والداعي إلى الله، والاحتراز من نزغات الشيطان، وذكر الحجة والبرهان على وحدانية الله تعالى، وذكر أحوال الإنسان بالنفع والضر والإساءة والإحسان، وجزع الكفار عند الابتلاء، وذكر دلائل القدرة الإلهية وإحاطة علم الله بكل شيء⁴.

ومن الجدير بالذكر أنَّ مجيء السورتين بهذا التجاور الموضوعي والنزولي يقودنا إلى أنه لا بدَّ من وجود مناسبة ومضامين مشتركة بين السورتين وهذا ما سأحاول الكشف عنه وإظهاره.

قال الله تعالى في خواتيم سورة غافر: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر: 82) حيث ذكر سبحانه تهديده للمجادلين في آياته، الطالبين للرياسة والجاه، وكسب حظوظ الدنيا، وفي هذا التهديد ضرب سبحانه لهم المثل بمصير الأمم السابقة وما نزل بها من العقوبة والعذاب الشديد إلى أن ختم سبحانه السورة بالتذكير بسنة الله الباقية في عباده ألا ينفع إيماناً أو توبة بعد نزول العذاب فقال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ

¹ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ص409-410.

² حكى الإجماع ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص3.

³ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج24، ص228.

⁴ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج1، ص413-414.

يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هُنَالِكَ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ (غافر: 85)¹.

قال محمد محمود الحجازي² معلقاً على هذه الخاتمة: "هذا ختامٌ للسورة رائعٌ، محورُ الكلام فيها عن المشركين
المجادلين في آيات الله المتكبرين على رسله غروراً منهم بدنياهم وأموالهم وأولادهم فكان هذا تهديداً ببيان من
هم أشدُّ منهم وأكثر أموالاً وأولاداً"³.

وأما عن فواتح فصّلت، فيرى السعدي -رحمه الله- أنّ الآيات في قوله تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا
عَمَلُونَ ۝﴾ (فصلت: 1-5) بدأت بالكلام عن القرآن الكريم، وأنه مُنَزَّلٌ من عند الله تعالى، ثُمَّ التَّاء عليه
بتمام البيان، وأنَّ الله تعالى قد أنزله باللغة العربية الفصحى التي هي من أكمل اللغات بشيراً للمؤمنين به،
ونذيراً للمعرضين عنه، ثُمَّ بَيَّنَّتْ الآيات بعد ذلك موقف المشركين منه وإعراضهم عمّا اشتمل عليه من
الإنذار، وعن الإصغاء إليه، بالرغم من بيانه ووضوحه وكونه تنزلاً بلِّغتهم⁴.

¹ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج24، ص99. وانظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت:1436هـ): التفسير المنير في العقيدة والشريعة
والمنهج، (دمشق - دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ)، ج24، ص174-175.

² محمد محمود حجازي: هو عالم من علماء الأزهر الشريف، ومن المفسرين المعاصرين، درس في الأزهر الشريف وتخرج فيه، وعين مديراً
لمعهد المنصورة. ومن أهم مؤلفاته: كتاب "التفسير الواضح" 3 مجلدات طبع أكثر من مرة، وكتاب: "الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم"، وتوفي
سنة (1392هـ). انظر: التعريف بمحمد محمود حجازي من موقع المكتبة الشاملة، <http://shamela.ws/author/1330>، تاريخ الزيارة:
2022/8/15م.

³ الحجازي، محمد محمود، (ت: 1392هـ): التفسير الواضح، (بيروت - دار الجيل الجديد، ط10، 1413هـ)، ج3، ص321.

⁴ انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا
الليوحي، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م)، ص744. وانظر: الصابوني، محمد علي، (ت: 1442هـ): صفوة التفسير، (القاهرة
- دار الصابوني، ط1، 1417هـ - 1997م)، ج3، ص107.

وأكد على كلامه محمد دروزة¹ بقوله: "بدأت السورة بحرفي الحاء والميم كسابقتها للتبنيه على إعجاز القرآن، وقد أعقبهما تنويه بكتاب الله تعالى وتقرير بكونه منزلاً من الرحمن الرحيم، مُفَصَّل الآيات، واضح البيان والغايات، بلسانٍ عربيٍّ لِقَوْمٍ يستطيعون أن يفهموه، ويدركوا ما احتواه ليكون لهم بشيراً ونذيراً، ثُمَّ أعقب ذلك تنديداً بالكفار الذين أعرضوا عنه ولم يستمعوا له"².

وفي معرض بيان العلاقة بين خواتيم غافر وفواتح فُصِّلَتْ فقد برزت عدة أقوال واجتهادات لعلماء التفسير منهم: ابن الزبير الغرناطي (ت:708هـ) الذي يرى أن سورة فُصِّلَتْ أوضحت مجمل ما ورد في سورة غافر، وضرب لذلك أمثلة فقال: " فقد تضمنت سورة فُصِّلَتْ بيان هلاك من عاند وكذب ممن كان أشد قوة من الذين تقدّم ذكرهم مجملاً في سورة غافر في آيتي: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (غافر:21)، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (غافر:82)، فقال تعالى مفصلاً لبعض ذلك الإجمال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فُصِّلَتْ:13)، ثُمَّ قال: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فُصِّلَتْ:15)، ثُمَّ قال: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ (فُصِّلَتْ:16)، ثُمَّ قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ (فُصِّلَتْ:17) فبيّن تعالى حالهم وأخذهم"³.

وهنا يظهر من كلام ابن الزبير الغرناطي أن العلاقة بين الآيات في سورتي غافر وفُصِّلَتْ: علاقة إجمال وتفصيل، وبذلك تكون سورة فُصِّلَتْ اسماً على مسمى، ولعلّ هذا ما دفع البقاعي إلى ربط المقصد العام لسورة فُصِّلَتْ بتسميتها؛ فبيّن أن مقصود هذه السورة هو "الإعلام بأن العلم إنّما هو ما اختاره المحيط بكل

¹ محمد عزة دروزة: هو مفكر، وكاتب، ومناضل قومي عربي فلسطيني، ولد في نابلس سنة (1887م)، ونشأ في أسرة كريمة من قبيلة "الغريجات" التي كانت تسكن الأردن وانحدرت إلى فلسطين واستوطنت نابلس، وإضافة إلى نضاله السياسي، كان أديباً ومؤرخاً وصحفيّاً ومترجماً ومفسراً للقرآن، من مؤلفاته: "التفسير الحديث"، "القرآن والمرأة"، "القرآن والضمان الاجتماعي"، و"الوحدة العربية" في مجلد كبير، توفي في دمشق سنة (1404هـ). انظر: التعريف بمحمد عزة دروزة من موقع المكتبة الشاملة، <http://shamela.ws/author/1327> تاريخ الزيارة: 2022/8/15م.

² دروزة، محمد عزة، (ت:1404هـ): التفسير الحديث، (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1383هـ)، ج4، ص405.

³ ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص297.

شيء قدرة، وعلماً، وأن هذا العلم لا يُكتسب إلاً باتباع الرُّسل.. "وعلى ذلك دلَّ اسمها 'فُصِّلَتْ' بالإشارة إلى ما في الآية المذكورة فيها هذه الكلمة من تفصيل لما أُجْمِلَ في غافر"¹.

في حين يرى أبو حيَّان الأندلسي (ت:745هـ) -في بيانه للمناسبة بين خواتيم غافر وفواتح فُصِّلَتْ- أن كلاً منهما تضمَّن لوناً من ألوان التوبيخ للكافرين للمجادلين في آياته؛ ففي ختام غافر ذكر سبحانه الوعيد والتهديد والتعريض لقريش فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (غافر:82) ثم أتبعه بتوبيخ آخر في فاتحة فُصِّلَتْ، فنكر سبحانه أنه نزل كتاباً مفصلاً آياته، بشيراً لمن اتبعه، ونذيراً لمن أعرض عنه.. إلى أن آل الأمر بإيقاع العذاب بعد التهديد والتعريض فقال سبحانه: ﴿إِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً﴾ (فُصِّلَتْ:13)، وكلُّ ذلك كان مناسباً لآخر سورة غافر من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين وقع بهم العذاب، وكذلك قريش فقد حلَّ بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي ما حلَّ بعباد وثمود من استئصالهم².

ويتَّضح من كلام أبي حيَّان في وجه مناسبة فاتحة سورة فُصِّلَتْ مع خاتمة سورة غافر أن إحداهما تضمَّنت تنظيراً قولياً للمجادلين في آيات الله في مكة وغيرها، والأخرى حملت التطبيق العملي لهذا الإنذار بإيقاع العذاب على المكذبين الضالين؛ فكما أن المجادلين لم ينتفعوا بما جاءهم من إنذار في سورة غافر، ولم يأخذوا العبرة من مصير الأقوام السابقة التي كانت أشدَّ منهم قوة، لذلك استحقُّوا العذاب الذي جاء في سورة فُصِّلَتْ، فالله تعالى يمهل ولا يهمل فإنذاره لهم لم يكن مجرد إنذار وتخويف، وإنما كان إنذار تبعه تطبيق عملي بإحلال العذاب عليهم.

¹ البقاعي: مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج2، ص443-444.

² انظر: أبو حيَّان: البحر المحيط في التفسير، ج9، ص283.

أمَّا البقاعي (ت:885هـ) فقد جاء بربطٍ لافتٍ في إشارته وفحواه بين السورتين فقال: "لَمَّا اخْتَمَّ سُبْحَانَهُ غَافِرٌ بِالْحَدِيثِ عَنِ إِذْكَارِ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ جَادَلُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ بِالْبَاطِلِ، وَفَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمٍ بِظَاهِرِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَمْ يَنْفَعَهُمْ عِنْدَ الشَّدَةِ وَالْبَأْسِ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٧﴾...فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ (غافر:83-85)، افتتح سبحانه فَصَّلَتْ بالحديث عن القرآن وأنه رحمة لمن كان له علم وله قوة توجب له القيام فيما ينفعه، وكرَّرَ سبحانه الوصف بالرحمة في صفة العموم وصفة الخصوص إشارة إلى أن أكثر الأمة مرحوم فقال تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ (فُصِّلَتْ:2-3)¹.

ومن الملاحظ أنَّ البقاعي قد أجاد في الربط بين خاتمة سورة غافر و فاتحة سورة فَصَّلَتْ حين أبرز المناسبة بين الأشياء المتضادة في المعنى وليس المتوافقة فحسب كما هو دارج ومعلوم بين الناس، وقد تميَّزَ بذكر هذا الوجه من وجوه المناسبة وهو ذكر الشيء وضده؛ فهو لمح إنذار الكافرين بالعذاب في خاتمة سورة غافر، فمن باب المقابلة ذكر سبحانه البشارة بالرحمة في فاتحة فَصَّلَتْ، وفي هذا تعليمٌ لنا لأسلوب من أساليب الدعوة ألا وهو أسلوب الترغيب والترهيب، وذلك كي تستقيم نفس المؤمن وتتوازن، فيطمع في رحمة الله ومغفرته فلا ييأس منها أبداً، ويحذر عقاب الله ويخشاه فلا يغفل عنه أبداً.

"فمن سنن القرآن الجمع بين الوعد والوعيد، ليظل الإنسان محكوماً بمشاعر الخوف والرجاء قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ (المائدة:98) إذ الإنسان بحاجة دائمة إلى

¹ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج17، ص135.

منشطات الأمل وكوابح الغرور، فإنَّ يأسه من النَّجَاح يقوده إلى السقوط، واغتراره بما عنده يمنعه السبق" ¹، ولعلَّ هذا ما لمح البقاعي وأراد التنبيه عليه.

ومن العلماء المتأخرين الذين أبانوا عن وجه المناسبة: ابن عجيبة² إذ يقول: مناسبة سورة فُصِّلَتْ لما قبلها غافر ظاهرة؛ ففي أواخر غافر قال الله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (غافر: 83)، وفي أول فُصِّلَتْ قال سبحانه: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (فُصِّلَتْ: 2)، "فكانت قریش من جملة المستهزئين بالقرآن، وتقول: ﴿وَالْعَوَّا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فُصِّلَتْ: 26) فبيِّن أنَّه مُنَزَّلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"³.

وذكر عبد الكريم يونس الخطيب⁴ وجهاً آخرًا من وجوه المناسبة بين خاتمة غافر وفاتحة فُصِّلَتْ، وفحواه: لمَّا اختتم سبحانه سورة غافر بالحديث عن آيات الله التي أنعم الله بها على عباده ومنها الأنعام.. وتلاها بذكر آيات الله فيما أخذ به الظالمين المكذبين من نقم.. جاءت سورة فُصِّلَتْ، لتصل هذا الحديث، فبدأت بذكر القرآن الكريم وما يحمل من آيات بَيِّنَات، فُصِّلَتْ بلسانٍ عربيٍّ مبين.. فإذا كان المشركون قد عموا عن أن يتدبَّروا في هذه النعم المنظورة.. فليسمعوا بأذانهم هذه الآيات المنطوقة، والتي تكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى ودين الحق..⁵

¹ الغزالي، محمد، (ت: 1416هـ): نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، (القاهرة، بيروت - دار الشروق، د.ط، 1 يناير 2019م)، ص 363.

² ابن عجيبة: هو أحمد بن محمد بن المهدي، الحسني الأنجزي، مفسر صوفي مشارك من أهل المغرب، ولد سنة (1160هـ)، له كتب كثيرة، أشهرها: (البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) في أربعة مجلدات ضخام، و(شرح القصيدة المنفرجة)، و(الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية)، و(الفتوحات القدوسية في شرح المقدمة الأجرومية) جمع فيه بين النحو والتصوف، توفي سنة (1224هـ) ودفن ببلدة أنجرة (بين طنجة وتطوان). انظر: الزركلي: الأعلام، ج 1، ص 245.

³ ابن عجيبة، أحمد بن محمد، (ت: 1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة - الدكتور حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ)، ج 5، ص 159.

⁴ عبد الكريم الخطيب: هو مفكر إسلامي معاصر، وباحث معروف، ومفسر ضليع، واسمه الكامل "عبد الكريم محمود يونس الخطيب"، ولد بالصعيد بمصر، وتخرَّج بمدرسة المعلمين بسوهاج، فعمل بالتعليم، والتحق بدار العلوم، فلمَّا تخرج فيها عمل بالمدارس الثانوية، وانتقل إلى وزارة الأوقاف، واعتقل مع مجموعة من كبار موظفيها، له ما يزيد عن خمسين كتاباً، منها: (التفسير القرآني للقرآن) في ست مجلدات، و(سد باب الاجتهاد وما ترتب عليه)، (القصص القرآني)، توفي سنة (1406هـ). انظر: أباطة: إتمام الأعلام، ص 164.

⁵ انظر: الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: بعد 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة - دار الفكر العربي، د.ط، د.ت)، ج 12، ص 1277-1278.

وقد أحسن عبد الكريم الخطيب في إظهار الاتصال والالتحام بين خاتمة سورة غافر و فاتحة سورة فصلت بحيث تبدوان كسيكة واحدة يتصل آخرها بأولها، وكأنه أراد سبحانه توجيه أنظار المشركين الضالين لسماع آيات الله المنطوقة إن عموا عن التدبر في آيات الله المنظورة والله تعالى أعلم.

وقد ظهر لي في المناسبة وجبة -وانطلاقاً مما أورده الشيخ عبد الكريم الخطيب- وفحواه: أنّ المتدبر لخواتيم سورة غافر من الآية (67) إلى الآية (85)، وفواتح سورة فصلت من الآية (2) حتى الآية (18) يلمح فيها دعوة الله عز وجل لعباده للنظر والتدبر في الكتاب المنظور (وهو الكون)، والكتاب المسطور (وهو القرآن)، للوصول بهم إلى حقيقة الوجدانية وحقيقة الإيمان وحقيقة أنّ الله حق، ثمّ عرض لموقف التكذيب والإعراض؛ فعلى الرغم من كل هذا البيان في الكتاب المسطور والمنظور هناك موقف كبر وإعراض وتكذيب، ثمّ إنّ هؤلاء المكذبين المعرضين ستجري عليهم سنة الله كما جرت على السابقين في الدنيا والآخرة، ثمّ الدعوة للصبر والثبات على هذا الدين الحق دون أن يثبط الإعراض والصدود عن دين الله لمعنويات المسلمين، لأنّ الأمر كلّهُ لله من قبل ومن بعد، وليس على الداعية سوى التبليغ عن الله تعالى.

مِمّا سبق يتبيّن للباحثة مدى الترابط والتعاقب بين خاتمة سورة غافر و فاتحة سورة فصلت والذي برز في الأوجه التالية: أنّ فاتحة سورة فصلت فصلت مجمل ما ورد في خاتمة سورة غافر، كما واحتوت أيضاً على البشارة بالرحمة لمن عمل بما علم من كتاب الله، في مقابل ما تضمّنته خاتمة غافر من الإنذار بالهلاك لمن أصرّوا على الكفر إلى مجيء البأس، كما واشتملت أيضاً على توجيه أنظار المشركين لسماع آيات الله المنطوقة، في مقابل ما اشتملت عليه خاتمة غافر من الدعوة للنظر والتدبر في آيات الله المنظورة.

المبحث الثاني: المناسبة بين خواتيم سورة فُصِّلَتْ وفواتح سورة الشورى

تتعدى علاقات الانسجام في النظم القرآني حدود السورة؛ لتنتقل إلى ربط السورة بما قبلها، وذلك عبر جملة من الروابط الوظيفية التي تتعاقب مع أجزاء من السورة أو السور الأخرى¹. وفي هذا المبحث وقوف على خواتيم سورة فُصِّلَتْ وفواتح سورة الشورى لمحاولة الكشف عن أوجه الربط بينهما. وقبل هذا لا بد من الحديث بصورة إجمالية عن سورة الشورى كما سبق الحديث في المبحث السابق عن سورة فُصِّلَتْ².

سورة الشورى هي سورة مكية بإجماع من أكثر المفسرين³ باستثناء بعض آياتها⁴، نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة إبراهيم، وآياتها ثلاث وخمسون آية، وتعد السورة الثانية والأربعون بحسب ترتيب المصحف، والتاسعة والستين في ترتيب نزول السور⁵.

وتعرض هذه السورة بيان حجة التوحيد، وتقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتأکید شريعة الإسلام، والتهديد بظهور آثار القيامة، وبيان ثواب العاملين في الدنيا والأخرى، ودل الظالمين في يوم الحساب، ووعد التائبين بالقبول، وبيان الحكمة في تقدير الأرزاق وقسمتها، والإخبار عن شؤم الآثام والذنوب، والمدح والشأن على العافين من الناس ذنوب المجرمين، والتذكير بالنعم الإلهية وبيان أن مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى⁶.

قال الله تعالى في خواتيم سورة فُصِّلَتْ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضِلُّ

مَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٦﴾ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ

¹ وسترات: الانسجام النظمي في القرآن: مجموعة الحواميم أمودجاً، ص16.

² انظر للكلام عن سورة فُصِّلَتْ، ص72.

³ حكى الإجماع ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص25.

⁴ قال قتادة: فيها مدني، منها قوله تعالى: أَلَمْ لَمْ لِي لِي مَجَّ (الشورى: 23) إلى قوله: أَلَمْ تَرَ تَمَّ ثَمَّ نَى (الشورى: 24)، وقوله: أَيْ بِي نَجْدُ (الشورى: 39) إلى قوله: أَلَمْ تَرَ تَمَّ ضَدَّ ضَدَّ (الشورى: 41). انظر لقوله في المرجع السابق، ج5، ص25.

⁵ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج25، ص23-24.

⁶ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، ص418.

أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

مُحِيطٌ ﴿٥٣﴾ (فُصِّلَتْ: 52-54) فختم سبحانه هذه السورة بآيات تتعى على العرب القدامى والمحدثين جميعاً

الطاعين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم¹، وثُلُثَتْ أنظارهم إلى التأمل والتفكير فيما بين أيديهم من الدلائل لتقودهم إلى الإقرار بنبوته صلى الله عليه وسلم، وبأنَّ القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله²، ثمَّ تفرّجهم على "شدة شكِّهم في لقاء الله والوقوف بين يديه، وتذكيرهم بأسلوب التنبيه بإحاطة الله بكلِّ شيء ممَّا فيه برهان على قدرته عليهم، وأنَّهم لن يفلتوا منه ولن يعجزوه"³.

قال **المراغي** فيما معناه: بعد أن توعدَّ سبحانه المشركين على الشرك، وذكر أنَّهم سيرجعون عنه يوم القيامة، وأنَّ مسألة إيمانهم هي مسألة وقت،...، أعقبه سبحانه بلفت أنظار الطاعين في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى التأمل والتفكير فيما بين أيديهم من الدلائل، ليرجعوا عما هم فيه من الغيِّ والضلال، ويقرُّوا أنَّ القرآن حقٌّ منزلٌ من عند الله، وأنَّ الساعة آتيةٌ لا ريبَ فيها⁴.

ثمَّ قال -جلَّ شأنه- في أوائل سورة الشورى: ﴿حَمَّ ۝١ عَسَقَ ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ

اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤﴾ (الشورى: 1-4) فبدأت

السورة بتقرير مصدر الوحي، ومصدر الرسالة، وهو الله تعالى، وتقرير ملكيته سبحانه لما في الكون وتعالیه فوق خلقه، وتفرده بالكبرياء والعظمة⁵.

¹ انظر: الغزالي: نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص373.

² انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص10.

³ دروزة: التفسير الحديث، ج4، ص433.

⁴ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص9-10. ونحوه قال الزحيلي. انظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص16.

⁵ انظر: قُطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3137.

يقول الشيخ الصابوني ما معناه: كما أنزل عليك ربك يا محمد هذا القرآن، فقد أنزل على الرسل من قبلك كتبٌ أوحاها إليهم، فهو سبحانه العزيز في ملكه، الحكيم في خلقه وصنعه، الذي له ما في السماوات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبيداً، وهو المتعالي فوق خلقه، المنفرد بالعظمة والكبرياء والعزة¹.

وفي معرض بيان المناسبة بين خواتيم سورة فُصِّلَتْ وفواتح سورة الشورى ورد عددٌ من أقوال واجتهادات لعلماء التفسير في ذلك، منهم: ابن الزبير الغرناطي الذي يرى أنَّ فواتح سورة الشورى كانت تعقيباً على سبق ذكره في خواتيم سورة فُصِّلَتْ، والتي تحدَّثَ اللهُ فيها عن شك المشركين بالبعث بعد الممات، فردَّ اللهُ عليهم بإبراز علو شأنه وعظمته التي تكاد السماوات تنفطر من هولها².

في حين يرى أبو حيَّان الأندلسي أنَّ خواتيم فُصِّلَتْ تتصل اتصالاً وثيقاً مع فواتح الشورى، فقد اشتركت كل منهما في الحديث عن القرآن في كلا الموضوعين³.

وذكر البقاعي في بيانه للمناسبة ما فحواه: لما بدأت سورة الشورى بالحروف المقطعة والتي من مقصودها الاجتماع على الدين كما أشارت إليه آخر السورة الماضية -فُصِّلَتْ-، قال سبحانه كلمة {كذلك} أي: مثل هذا الإيحاء العظيم الذي أخبر به الله صريحاً في أول «فُصِّلَتْ» من أنَّ الإله إلهٌ واحد، وآخرها من أنَّه ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك، ومن أنَّه يجمع هذه الأمة على هذا الدين بما يتبين لهم أنَّ هذا القرآن هو الحق وبما يوضح من دلالات وبيانات في الآفاق⁴ لقوله تعالى: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي

أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ

¹ انظر: الصابوني: صفوة التفاسير، ج3، ص123. وانظر: الحجازي: التفسير الواضح، ج3، ص356.

² انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص299.

³ انظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج9، ص322. وذكره: الغماري، محمد صديق: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص95-96. وذكره: السامرائي: التناسب بين السور في المفتتح والخواتيم، ص142.

⁴ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج17، ص237-238.

مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ^ق أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ (فُصِّلَتْ: 53-54)، جاءت الآيات الأولى في سورة الشورى مؤكدة على أن الله هو خالق السماوات والأرض لقوله تعالى: ﴿حَمَّ ﴿١﴾ عَسَقَ ﴿٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ (الشورى: 1-4).

ولا شك أن البقاعي قد اعتمد على سابقه من المفسرين في بيانه للمناسبة، كما أنه أول الحروف المقطعة في بداية سورة الشورى وبين مقصودها برغم كونها سر من أسرار القرآن التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

وأما حكيم شاه الشيخ محمد بن مبارك الهروي (ت: بعد سنة 928هـ)¹ فذهب إلى أن أول الشورى دليل لأخر فُصِّلَتْ، وبيانه: أن يقال: ﴿أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ (فُصِّلَتْ: 53)، لأنه ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ (الشورى: 3)، فإن من يوحى بالقرآن علماً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى الذين من قبله من المرسلين يكون كذلك شهيداً بكل شيء مطلعاً عليه².

وقد حاول الهروي إيجاد مناسبة أخرى بينهما من خلال محاولة استكشاف معاني الحروف المقطعة في سورة الشورى وربطها بخواتيم فُصِّلَتْ - كما فعل البقاعي - فقال: "من معاني {حم عسق}: أن الحق محيط بالعالم

¹ حكيم شاه: هو شمس الدين محمد بن مبارك بن محمد حكيم شاه القزويني الهروي ثم الرومي، الفقيه الحنفي، الحكيم الطبيب، المتكلم المفسر، المنطقي الأصولي، كان رحمه الله من تلاميذ العلامة جلال الدين الدواني، وكان ماهراً في علم الطب، لأنه كان من عائلة يغلب عليها الطب، ثم سافر إلى مكة وجاور بها مدة، ثم استدعاه السلطان بايزيد خان إلى القسطنطينية، وعين له كل يوم 120 درهما برسم الطب، وصاحبه أيضاً السلطان سليم خان وتقرب منه، وبلغ عنده مراتب عليا، وتوفي حكيم شاه في أيامه، ومن مؤلفاته: (مدار الفحول في شرح منار الوصول للنسفي - أصول الفقه)، (تفسير القرآن) من سورة النحل إلى آخر القرآن، ودائرة الوصول إلى علم الأصول - حاشية على نور الأنوار) وغيرها من المؤلفات. واختلف في سنة وفاته وأقرب الأقوال إن وفاته كانت بعد سنة 928هـ. انظر: الزركلي: الأعلام، ج 7، ص 17-18. وانظر: كحالة، عمر بن رضا، (ت: 1408هـ): معجم المؤلفين، (بيروت - مكتبة المثني، ودار إحياء التراث العربي، د. ط، د. ت)، ج 11، ص 170. وانظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية، ص 48-49.

² انظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ويلي تحقيق كتاب حور العين في تبيين حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد سنة 928هـ)، ص 125.

من الأنفس والآفاق، فظهر الربط بين أول هذه السورة -الشورى- وآخر السورة السابقة -فُصِّلَتْ-، وأعني

قوله: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٦﴾ إِلَّا إِلَهُهُمْ فِي مَرَبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٧﴾﴾ (فُصِّلَتْ: 53-

54) "1. ولا يخفى بعد هذا التأويل وهذا الإستنباط من الهروي -رحمه الله-، لأنَّ الله وحده العالم بسر هذه

الحروف المقطعة.

ومن العلماء المتأخرين الذين أبانوا عن وجه المناسبة: ابن عجيبة والذي يرى أنَّ افتتاح الشورى كان كالنتمة

لما سبق ذكره في ختام فُصِّلَتْ، والتي قال الله تعالى فيها: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ

يَتَّبِعَنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فُصِّلَتْ: 53) أي: أنَّ القرآن حقٌّ، ووحى من الله مع قوله: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾

(الشورى: 3)².

وهنا يظهر من كلام ابن عجيبة أنَّ العلاقة بين الآيات في سورتي فُصِّلَتْ والشورى: علاقة إكمالٍ وتتميم؛

فبعدما ذكر سبحانه في سورة فُصِّلَتْ وعده لعباده بأن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون ومن خفايا

أنفسهم على السواء، وأن يُريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أَنَّهُ الْحَقُّ؛ هذا الدين، وهذا

الكتاب، وهذا المنهج، وقد صدقهم الله وعده، فبيَّن لهم حقيقة من كل وجه في الآية الثالثة والخمسين، جاء

تتمة ذلك في سورة الشورى بإثبات القرآن وحقيقته، وكونه تنزيلٌ من الرحمن الرحيم على رسوله الكريم عليه

أفضل الصلاة وأتمّ التسليم في الآية الثالثة³.

¹ الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية، ص 125.

² انظر: ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 5، ص 193.

³ انظر: طهماز، عبد الحميد محمود: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (دمشق - دار القلم، م 7، ط 2، 1435هـ-2014م)، ص 372.

في حين يرى كل من المفسرين (الأوسي، والمراغي، والزحيلي، وعبد الكريم الخطيب) أنَّ مناسبة أول الشورى لآخر ما قبلها فَصِلَتْ هي: اشتمال كل منهما على ذكر القرآن، دفع طعن الكفار فيه، وتسليية النبي صلى الله عليه وسلم¹.

ولا جديد فيما قَدَّموه، فجميعهم اشتركوا في الربط بين الموضوعين في المضمون العام.

ومن وجوه المناسبة بينهما التي ذكرها فاضل السامرائي: أنَّه لما اختتم سبحانه فَصِلَتْ بقوله: ﴿أَلَا إِنَّهُ

يَكُلُّ شَيْءٍ مَّحِيطٌ﴾ (فَصِلَتْ: 54) أعقبه سبحانه في فاتحة الشورى بقوله: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (الشورى: 4) وأبان عن وجه الربط بينهما: بأنَّ الذي له ما في السماوات وما

في الأرض العلي العظيم هو الذي بكل شيء محيط².

ولا يخفى تناسب ما في الموضوعين؛ فإنَّ كون الله تعالى عليُّ بذاته وقدره وقهره، عظيمٌ تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، يستلزم أيضاً -بمقتضى ربوبيته- أن يكون محيطاً بكل شيء علماً وقدره وعزّة³.

وقد ظهر لي في المناسبة وجهٌ بعد تدبُّر خواتيم سورة فَصِلَتْ وفواتح سورة الشورى ومضمونه: إقامة الله الحُجَّةَ على الناس في السابق والحاضر والمستقبل، فَيُبَيِّنُ تعالى أنَّه بيده مقاليدُ كلِّ شيء، وأنَّه يقنرُ ويبسط، ويعطي ويمنع، ويبيِّنُ سبحانه الطبيعة الفطرية للنَّاس بين هذا وذاك، قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ

دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَوْطٌ ﴿١٩﴾ وَلَئِنْ أَدْنَاهُ رَحْمَةً مِّمَّا مِنْ بَعْدِ صَرَاءٍ مَسَّه لَيَقُولَنَّ هَذَا

لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا

¹ انظر: الأوسي: روح المعاني، ج13، ص12. وانظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص13. انظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص20-21. وانظر: الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص14.

² انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص142.

³ انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص752.

وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ (فُصِّلَتْ: 49-51)، ثُمَّ يُبْرِزُ دُورَ الدَّاعِيَةِ حِينَ يُلْفِتُ بِصَائِرِ الْمَدْعُومِينَ الْجَاهِدِينَ إِلَى مَصَائِرِهِمْ

فِيمَا لَوْ كَانَ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ كَذَلِكَ، وَمَعَ ذَلِكَ اسْتَمَرُّوا عَلَى عِنَادِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، فَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ

مَنْ هُوَ أَضَلُّ مِنْهُمْ، فَلَقَدْ أَوْغَلُوا فِي بُعْدٍ لَمْ يُسَبِّقُوا إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثَمَرٌ

كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي سِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ (فُصِّلَتْ: 52)، ثُمَّ يُوَاجِهُهُمْ سُبْحَانَهُ بِالآيَاتِ الدَّامِغَاتِ

عَلَى صَدَقِ الرِّسَالَةِ بِكُلِّ مَا يَحِيطُ بِهِمْ، بَلْ حَتَّى فِي أَنْفُسِهِمْ، فَمَرِحَةَ جُودِهِمْ هِيَ مَرِحَةُ وَقْتٍ، وَتَسْتَكْشِفُ

الْحَقَائِقَ بَعْدَ الشُّكُوكِ حِينَ يَلْقَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ

وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَ مَا يَكْفُرُ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي

مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ (فُصِّلَتْ: 53-54).

وَأَمَّا فَوَاتِحُ الشُّورَى فَعُوداً عَلَى بَدءِ، فَهَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ الْمَسْطُورَةُ تَتَنَاوَمُ مَعَ الْآيَاتِ الْمَنْظُورَةِ، لِتُؤَكِّدَ أَنَّ مَنْ خَلَقَ

هَذَا هُوَ مَنْ أَوْحَى هَذَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ ۝١ عَسَقَ ۝٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ۝٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٤﴾ (الشُّورَى: 1-4)، وَأَمَّا مَنْ ارْتَضَى

لِنَفْسِهِ أَنْ يُغَمِّضَ بَصَرَهُ وَبَصِيرَتَهُ، فَاللَّهُ الَّذِي أَحَاطَ بِهِ هُوَ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَهُ، وَأَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَخَلَقَهُ كُلَّ دَاعِيَةٍ قَدْ قَصَرَ اللَّهُ مَهْمَتَهُمْ عَلَى التَّبْلِيغِ لَا عَلَى الْهَدَايَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝٦﴾ (الشُّورَى: 6) وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ التَّنَاوَمُ بَيْنَ خَوَاتِيمِ فُصِّلَتْ

وَفَوَاتِحِ الشُّورَى.

بعد البحث والاستقراء يظهر مدى التناسب بين خاتمة سورة فَصَّلَتْ و فاتحة سورة الشورى، فما جاء في فاتحة الشورى كان تعقياً وتأكيداً على ما سبق ذكره في خاتمة فَصَّلَتْ، وتعزيزاً لما ورد به من المعاني والرسائل. كما واشتركت كل منهما في المضمون العام، وهو: الحديث عن القرآن، دفع طعن الكفار فيه، وتسليية النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر الله وصفاته فيهما.

المبحث الثالث: المناسبة بين خواتيم سورة الشورى وفواتح سورة الزخرف

إنَّ تجاور أيُّ سورتين من سور القرآن الكريم لا بُدَّ أن يُرْخِي بظلاله على روابط التجاور بينها، وفي هذا المبحث سوف نُعمل فكرنا، وما أوتينا من علم ونصوص وأقوال ومساهمات من ذوي الاختصاص، لنصل إلى حقيقة الروابط بين ما انتهت به سورة الشورى وما ابتدأت به سورة الزخرف.

وقبل هذا لا بُدَّ من الحديث بصورة إجمالية عن سورة الزخرف، كما سبق الحديث في المبحث السابق عن سورة الشورى¹.

سورة الزخرف هي سورة مكية بإجماع من أهل العلم²، نزلت بعد سورة فُصِّلَتْ وقبل سورة الدخان، وعددُ آياتها تسعٌ وثمانون آية، وهي السورة الثالثة والأربعون بحسب ترتيب المصحف، والثانية والستون في ترتيب نزول السور³.

وتعرضُ هذه السورة بيان إثبات القرآن في اللوح المحفوظ، وإثبات الحُجَّة والبرهان على وجود الخالق لهذا الكون وما فيه، والزّد على عبّاد الأصنام الذين قالوا: الملائكة بنات الله، وذكر المنّة على إبراهيم عليه السلام بإبقاء كلمة التوحيد في عقبه، وبيان قسمة الأرزاق، وذكر حسرة الكفار، وندامتهم يوم القيامة، كما تذكر جانباً من مناظرة فرعون وموسى، وفيها بيان شرف الموحّدين ومنزلتهم في يوم الحساب، وذكر عجز الكافرين في جهنّم، وعرض بعض دلائل القدرة، وأمر الرّسول بالإعراض عن الكافرين⁴.

قال الله سبحانه في خاتمة سورة الشورى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ

¹ انظر للكلام عن سورة الشورى، ص 80.

² حكى الإجماع ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص45.

³ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج25، ص157.

⁴ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج1، ص421.

تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (الشورى: 51-53)

في هذا المقطع الختامي من السورة ذكر سبحانه تقسيم النعم الروحية، التي اختص بها الأنبياء والرسل من سائر الناس، بعد أن ذكر سبحانه قبل ذلك تقسيم النعم الجسمانية¹. ثم ذكر أنه أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن كما أوحى إلى الأنبياء قبله بالشرائع²، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يكن يدري قبل ذلك حقيقة كتب الله ووحيه وكيفية الإيمان به دراية يقينية، ولقد جعل الله ذلك نوراً يهدي به من يشاء من عباده، وأنه صار من شأنه صلى الله عليه وسلم بعد أن اهتدى به أن صار يهدي به غيره إلى صراط مستقيم، وهو صراط الله الذي له ما في السماوات والأرض، والذي ترجع جميع الأمور إليه³.

قال الزحيلي: "بعد أن وضح سبحانه دلائل كمال قدرته ونعمته مما هو محسوس، أردفه ببيان أنواع وحيه وكلامه إلى أنبيائه من النعم الروحية، التي اختص بها الأنبياء والرسل من سائر الناس، وبين أن الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن المشتمل على الشرائع هو مثل الوحي إلى الأنبياء السابقين، وقد سماه روحاً لما فيه من الهداية والعلم الذي هو كالحياء"⁴.

وقال الله تعالى في فواتح سورة الزخرف: ﴿حَمِّ ۖ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۚ﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ۚ﴾ ﴿وَلَهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلٌ حَكِيمٌ ۚ﴾ ﴿أَفَنْصُرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ

كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۚ﴾ (الزخرف: 1-5) فأقسم سبحانه في بداية هذه السورة بكتابه المبين لطريق

الهدى، وذكر حكمته من جعل هذا القرآن بلغة العرب، وذلك ليفقهوا معناه ويحيطوا به خبراً، وأخبر عز وجل

¹ النعم الجسمانية كنعمة الذرية فمن الخلق من يهب له إناثا، ومنهم من يهب له ذكورا، ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورا وإناثا، ومنهم من يجعله عقيما لا يولد له. انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج 25، ص 62.

² انظر: المرجع السابق، ج 25، ص 63.

³ انظر: دروزة: التفسير الحديث، ج 4، ص 483.

⁴ الزحيلي: التفسير المنير، ج 25، ص 105.

أنَّهُ محفوظ في علمه تعالى فليس هو من عند محمد كما يدعون، وأنَّ من رحمة الله ولطفه بهم أنه لم يترك تذكيرهم به لأجل إعراضهم عنه، وانغماسهم في الكفر¹.

قال السعدي -رحمه الله-: أقسم الله تعالى بالقرآن على القرآن، فأعلم أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة، وأنه جعله بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وذلك ليعقل القوم ألفاظه ومعانيه وأنه في المأى الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها، ثم أخبر تعالى أن حكيمته وفضله يقتضي أن لا يترك عباده هملاً لا يرسل إليهم رسولاً ولا ينزل عليهم كتاباً، ولو كانوا مسرفين ظالمين².

بالنظر في الآيات السابقة وللوهلة الأولى يستطيع القارئ أن يلمس المناسبة الظاهرة بينهما؛ فقد اشتركت السورتين في وصف القرآن وبيان مصدره، إلا أن فاتحة الزخرف قد تميّزت عن خاتمة الشورى بأسلوبها الذي حوى عدداً من المؤكّدات مثل: واو القسم، وإنّ المؤكّدة على ما سبق ذكره في خاتمة الشورى، وهذه المناسبة أشار إليها كلٌّ من: (البقاعي³، والهروي⁴، وابن عجيبة⁵، والآلوسي⁶، والمراغي⁷، ومحمد صديق الغماري⁸، والزحيلي⁹، وعبد الكريم الخطيب¹⁰).

وفي بيان التناسب بين السورتين فقد وردت عدّة أقوالٍ عن علماء التفسير منهم: ابن الزبير الغرناطي فذكر في معرض بيانه للمناسبة قوله: "لمّا أوضح سبحانه في خواتيم الشورى عظيم حال الكتاب وجليل نعمته به،

¹ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص67-68. وانظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص116-117.

² انظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت:1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ -2000م)، ص762.

³ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج17، ص377.

⁴ انظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ويليّه تحقيق كتاب حور العين في تبين حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد سنة928هـ)، ص126.

⁵ انظر: ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج5، ص233.

⁶ انظر: الآلوسي: روح المعاني، ج13، ص63.

⁷ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص67.

⁸ انظر: الغماري، محمد صديق: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص96.

⁹ انظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص112.

¹⁰ انظر: الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص102.

أردفه في فواتح الزخرف بذكر سعة عفوهِ وجميل إحسانه إلى عباده، فقد أنزل عليهم القرآن بالرغم من إشراكهم به، ولم يهملهم فقال تعالى: ﴿أَفَضَّرِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا

مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ (الزخرف: 5)¹.

وفي السياق ذاته ربط البقاعي بين فواتح الزخرف وخواتيم الشورى بقوله: "لَمَّا قَدَّمَ سبحانه في آخر سورة الشورى الثناء على القرآن بأنه جعله نوراً يهدي به من يشاء،...، وختم بأنه لا أمر يخرج عنه سبحانه، افتتح سورة الزخرف بتعظيم هذا القرآن بالإقسام به حثاً على تدبُّر ما فيه من الوجوه التي أوجبت أن يكون قسماً ثم تعظيم أثره"².

وذكر الهروي في المناسبة بين فواتح الزخرف وخواتيم الشورى ما معناه: أَنَّهُ لَمَّا خَتَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سُوْرَةَ الشُّورَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾ صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ إِلَّا إِلَىٰ أَلَيْهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ (الشورى: 52-53)، افتتح الزخرف بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ (الزخرف: 3) والاتصال بينهما ظاهر؛ فالقرآن العربي هو الصراط المستقيم، وهو صراط الله الذي له ما في السماوات والأرض، والنبِيُّ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ يَهْدِي النَّاسَ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى الْقُرْآنِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ³.

ومن العلماء المتأخرين الذين أشاروا لهذا التناسب: السامرائي والذي أضاف وجهاً آخراً من وجوه المناسبة وفحواه: أَنَّ سُبْحَانَهِ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي خَوَاتِيمِ الشُّورَى بِأَنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۗ إِنَّهُ عَلِيٌّ

¹ ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص 300. وانظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 17، ص 382. (نقلا عن ابن الزبير الغرناطي).

² البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 17، ص 377.

³ انظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية، ص 126.

حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ (الشورى:51)، ثم أعقبه في فواتح الزخرف بوصف القرآن بأنه علي حكيم فقال: ﴿وَإِنَّهُ

فِي أَمْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ (الزخرف:4)، وأبان عن وجه الربط بينهما: بأن القرآن عليّ

حكيم، والذي أوحاه عليّ حكيم، وهل يوحي العليّ الحكيم إلا العليّ الحكيم؟!¹.

ولا يخفى تناسب ما في الموضوعين؛ فيما أن الله تعالى عليّ بذاته وأوصافه وأفعاله عن كل نقص، وحكيم في صنعه وفي وضعه كل شيء في موضعه، من الشرائع والمخلوقات، فإنه يستلزم أيضاً أن يكون ما يوحي به عليّ في قدره وشرفه ومحلّه، حكيمٌ فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، ليس فيه حكمٌ مخالفٌ للحكمة والعدل والميزان.²

ومن وجوه التناسب الأخرى التي ذكرها السامرائي أنه: لما اختتم سبحانه سورة الشورى بقوله: ﴿صِرَاطَ اللَّهِ

الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ (الشورى:53)، افتتح سورة الزخرف

بقوله: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ (الزخرف:9)، وأبان

عن وجه الربط بينهما: بأن الله سبحانه الذي خلق السماوات والأرض، هو الذي له ما فيهما وإليه وحده تصير

الأمور.³

ولا يخفى تناسب ما في الموضوعين؛ فخاتمة الشورى بيّنت أنه سبحانه هو المالك لما في السماوات وما في

الأرض، وفاتحة الزخرف بيّنت سبب الملك بأنه سبحانه هو الموجد الخالق المبدع لها، ولذلك فهو مالكاها.

وهكذا ظهر مدى التناسب بين خاتمة سورة الشورى وفاتحة سورة الزخرف، فما جاء في أواخر الشورى جاء

تكميله وتفصيله في أوائل الزخرف. كما واشتركت كل من السورتين في وصف القرآن وبيان مصدره إلا أن

كل سورة كان لها طابعها الخاص في الوصف والبيان.

¹ انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص143.

² انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص762.

³ انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص143.

المبحث الرابع: المناسبة بين خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان

سورة الدُّخَان هي سورةٌ مكيةٌ بلا خلافٍ في شيءٍ منها¹، نزلت بعد سورة الزخرف وقيل سورة الجاثية، وعددُ آياتها تسعٌ وخمسون آية، وهي السورة الرابعة والأربعون بحسب ترتيب المصحف، والثالثة والستون في ترتيب نزول السور².

وتتناول هذه السورة ذكر نزول القرآن في ليلة القدر، وآيات التوحيد، وذكر إصرار الكفار على الضلال، كما تعرض حديث موسى مع بني إسرائيل وفرعون، والرد على منكري البعث، وفي مشاهد القيامة تعرض ذل الكافرين في مقابل عز المؤمنين في الجنة، كما تذكر تيسير القرآن الكريم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته وفضل الله تعالى أنه جاء على لسان العرب، كما تضمنت ذكر الأمم السابقة وهلاك كفارها، وكذلك ذكر دلائل الوحدانية، وختمت بالشد على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم بانتظار النصر على الكافرين³.

ولا شك أن هذا التجاور بين السورتين في الترتيب المصحفي والنزولي يدفع للبحث عن المناسبة المشتركة بينهما وهذا ما تحاول الباحثة إظهاره في هذا المبحث.

قال الله تعالى في خاتمة سورة الزخرف: ﴿وَقِيلِمْ يَرْبِّ إِنِّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (الزخرف: 88-89) وقد تضمنت هذه الخاتمة الكريمة شكاية النبي صلى الله عليه وسلم من قومه واستغاثته من كفرهم وعتوهم، وإجابة الله تعالى لدعاء نبيه صلى الله عليه وسلم في رعايته حين دعاه إلى الصفا والإعراض عنهم لما سيلقونه من الجزاء المحتوم⁴.

¹ حكى ذلك ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص68.

² انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج25، ص276.

³ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج1، ص424.

⁴ انظر: الطبري: جامع البيان في تأويل أي القرآن، ج21، ص657-657.

قال المراغي: " لما شكَا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ عَدَمَ إِيمَانِ قَوْمِهِ: ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزخرف: 88) أي: يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتَنِي بِإِنذَارِهِمْ وَأَرْسَلْتَنِي إِلَيْهِمْ لِتَبْلِيغِهِمْ دِينَكَ الْحَقِّ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ. أَجَابَهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ (الزخرف: 89) أي: أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَأَنْتَ آيِسٌ مِنْ إِيمَانِهِمْ، وَلَا تَجِبُهُمْ بِمِثْلِ مَا يَخَاطِبُونَكَ بِهِ مِنْ سَيِّئِ الْكَلَامِ، بَلْ انْتَفَهُمْ وَأَصْفَحْ عَنْهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ كُفْرِهِمْ، فَإِنَّكَ سَتَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ، وَيَحِلُّ بِهِمْ بِأَسْنَا الَّذِي لَا يَرُدُّ¹.

وقال سبحانه في افتتاح سورة الدخان: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْمُبَرَّكَ ۝٣ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٤ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٥ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٦﴾ (الدخان: 1-5) فبدأت هذه السورة بهذه الآيات القصيرة المتلاحقة، المتعلقة بالكتاب والإنذار والرسالة والهداية، ثم انتقل السياق للحديث عن القوم، ومعالجة الله لهم بالتهديد المرعب جزاء الشك واللعب: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٧ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝٨ يَعْشى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٩﴾ (الدخان: 9-11)، ثم ذكر سبحانه ما يكون من دعائهم لله أن يكشف عنهم العذاب، وإعلانهم الاستعداد للإيمان في وقت لا يقبل منهم فيه إيمان: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ (الدخان: 12-13) وتذكيرهم بأن هذا العذاب لم يأت بعد، وهو الآن عنهم مكشوف فلينتهزوا الفرصة، قبل أن يعودوا إلى ربهم، فيكون ذلك العذاب المخيف: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝١٤ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝١٥﴾ (الدخان: 15-16)².

¹ المراغي: تفسير المراغي، ج 25، ص 116. ونحوه قال الزحيلي. انظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج 25، ص 198.

² انظر: قُطْب: في ظلال القرآن، ج 5، ص 3206-3207.

قال السعدي: أقسم الله تعالى بكتابه المبين لما فيه صلاح البشر، وأنه أنزله في ليلة القدر لإنذار العباد وتخويفهم من عقابه، وأن هذه الليلة يُفصل فيها كل أمر حكم الله به... ثم أردف هذا بأمر نبيه بالانتظار حتى يحل بهم بأسه، وفي هذا تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمشركين،... ثم أوعدهم بأنه سينتقم منهم يوم البطشة الكبرى وهو يوم القيامة، ويجازيهم بما قالوا، وبما فعلوا، ويأخذهم أخذ عزيزٍ مقتدر¹.

وفي معرض بيان المناسبة بين خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان فقد وردت عدة أقوال واجتهادات عن علماء التفسير في ذلك، منهم: ابن الزبير الغرناطي الذي عبّر عن المناسبة بقوله: لما تضمنت السور الثلاث² -والتي سبقت الدخان- من ذكر الكتاب العزيز، وأنه قرآن عربي، وأن من خصائصه أنه ذكر للنبي ولقومه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف:44)، جاء تفصيل كل ذلك في مفتاح الدخان بذكر وقت إنزاله إلى السماء الدنيا فقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبْرَكَةٍ...﴾ (الدخان:3)، ولما ورد في الزخرف الأمر بالصفح مجملاً: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف:89) بذكر الوعيد للكافرين مجملاً، فصل ذلك في مفتاح الدخان فقال: ﴿فَأَرْقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان:10)، وما بعدها³.

وهنا يظهر أن ابن الزبير ربط بين عدة سور مظهراً الرباط الناظم بينها كلها بدءاً من سورة فصلت إلى سورة الدخان، وهذا يُنبه على عمق فهم هذا في موضوعات السور والإحاطة بها، ويتجلى هذا حينما أشار إلى أن السور الثلاث التي سبقت الدخان تحدثت عن الكتاب العزيز وخصائصه بشكل مجمل، وأن تفصيل ذلك جاء في مفتاح الدخان بذكر وقت إنزاله إلى السماء الدنيا. فكان فواتح الدخان جاءت تفصيلاً لما أُجمل ذكره في السور الثلاث.

¹ انظر: السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص771.

² السور الثلاث هي: فصلت، والشورى، والزخرف.

³ انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص302-303.

وفي سياق وجه المناسبة هذا سار أبو حيان الأندلسي فقال معبراً عن ذلك: ذكر الله سبحانه في خواتيم سورة الزخرف وعيده للمجادلين والمرائين بالعذاب في يوم غير معين، ولا موصوف فقال: ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَعْبَهُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الزخرف: 83)، ثم أبان عن وصف ذلك اليوم في أوائل سورة الدخان فقال: ﴿فَأَرْتَبْتَ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ (الدخان: 10)¹. فكأنه سبحانه يقول: اتركهم يا محمد وانظر نهايتهم، فذكر اللعب والتهديد في الموضعين حتى يلاقوا ما يلاقون².

وذكر البقاعي وجهاً آخرًا من وجوه المناسبة بين خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان، فقال: "لما ختمت الزخرف ببشارة باطنة ونذارة ظاهرة، وكان ما بشر به سبحانه من علم العرب وسلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعداً، افتتح سورة الدخان بمثل ذلك مقسماً عليه فقال: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الدخان: 2) أي: الجامع لكل خير، والبيّن في نفسه، الموضّح لما تقدّم من دقيق البشارة لأهل الصفاء والبصارة، واضح النذارة بصريح العبارة..."³.

ويظهر من كلام البقاعي في بيان المناسبة أنّ فاتحة الدخان أكّدت ما اشتملت عليه خاتمة الزخرف من الوعيد والتهديد بمزيد من الإنذار الشديد باستخدام أسلوب القسم.

بينما ذهب الهروي إلى بيان وجه الربط بينهما من خلال تفسيره لمعنى قوله تعالى في آخر الزخرف: ﴿وَقِيلِهِ يَرْبِّ إِنِّي هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الزخرف: 88) ثمّ ربطه بأول الدخان، فذكر أنّ قوله سبحانه: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٨) يحتمل معنيين: لا يؤمنون بالقرآن، أو لا يؤمنون بي، ولا يصدّقون رسالتي، ولا شك أنّ أول الدخان مربوطٌ بهذا القول على كل واحد من المعنيين؛ لأنّ أول الدخان إخباراً بإنزال القرآن مؤكداً

¹ انظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج9، ص396-397. ونحوه ما ذهب إليه الغماري والزحيلي. انظر: الغماري: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص97. وانظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص202.

² انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص144.

³ البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، ص1-2.

بالقسم: قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ ① وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ② إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا

مُنذِرِينَ ③﴾ (الدخان: 1-3)، وكذا فيه إخبار برسالة الرسول وكونه حقاً ورحمة: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُنَّا

مُرْسِلِينَ ④ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ⑤﴾ (الدخان: 5-6)¹.

وهنا يشير الهروي إلى أن كلا الموضعين كان الحديث فيه عن القرآن، وعن رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، مع الإختلاف في الأسلوب.

ومن العلماء المتأخرين الذين أبانوا عن وجه المناسبة: الألوسي حيث ذكر وجهين من وجوه التناسب بين

خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان أحدهما: نقله عن البقاعي وقد سبق ذكره، والآخر: قال فيه: " لَمَّا

ذكر سبحانه حكاية رسول صلى الله عليه وسلم لقومه في أواخر الزخرف: ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يُؤْمِنُونَ ⑧﴾ (الزخرف: 88) حكى نظيره ما قاله أخوه موسى لقوم فرعون: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ

مُجْرِمُونَ ⑫﴾ (الدخان: 22)، وكما ذكر أيضاً فيما تقدم بالزخرف: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ⑬﴾ (الزخرف: 89) حكى سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونَ ⑭﴾

وَإِن لَّمْ تُوْمِنُوا لِي فَأَعْتَزَلُونَ ⑮﴾ (الدخان: 20-21) فالتشابه واضح وقريب في الموقفين"².

والذي يظهر عند تحليل كلام الألوسي أنه لا يتجاوز كلام البقاعي، إلا أنه كشف عن وجه جديد من وجوه

التناسب وهو: التشابه بين موقف سيدنا محمد من قومه الذي ظهر في ختام سورة الزخرف، وموقف سيدنا

موسى مع قوم فرعون الذي ظهر في سورة الدخان.

¹ انظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ويليهِ تحقيق كتاب حور العين في تبين حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد سنة 928هـ)، ص 127. ونحوه ما ذهب إليه ابن عجيبة في تفسيره. انظر: ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج 5، ص 277.

² الألوسي: روح المعاني، ج 13، ص 109. ونحوه ما ذهب إليه الإمام المراغي. انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج 25، ص 118. وذكره أيضاً السامرائي نقلاً عن الألوسي. انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص 145.

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب في بيانه للمناسبة بين خواتيم الزخرف وفواتح الدخان: "لما ختمت سورة الزخرف بقوله تعالى: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَّمَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزخرف: 89).. وكان هذا الختام يتسق مع السورة التي كانت تُتمثل مرحلة من مراحل الدعوة الإسلامية في مواجهة المشركين، والتي كانت أشبه بالهدنة.. بدئت سورة الدخان بذكر القرآن الكريم، وأنه نزل في ليلة مباركة، وكان في هذا البدء تحريك لمسيرة الدعوة، بعد تلك الهدنة، فمن أول المسيرة يواجه المشركون بالقرآن الكريم، وما يحمل إليهم من خير وبركة، وأنه إذا كان قد أُنذِرهم وتوَعَدَهُم بالعذاب، فإنَّما ذلك لأنَّه حريص على هدايتهم، ضنين بهم على النار التي أُعدَّت للكافرين..."¹.

وفي هذا الربط يبرز الشيخ عبد الكريم الخطيب تعانق فاتحة سورة الدخان مع خاتمة سورة الزخرف التي قبلها وكأنهما نسيج واحد اتصل آخره بأوله، حيث أبرز بهذا الربط التدرج في مراحل الدعوة الإسلامية.

وأما السامرائي فقد نقل في بيانه للمناسبة بين خواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان كلام المفسرين: (أبو حيان الأندلسي، والآلوسي)، وأضاف إليهما وجهين آخرين:

- الأول: قال فيه: "لما ذكر سبحانه في خواتيم سورة الزخرف قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف: 84) افتتح الدخان بقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ

ءَابَائِكُمْ الْأُولِينَ﴾ (الدخان: 8)²، وأبان عن الرابط بينهما بقوله: "أنَّ الذي هو في السماء إله وفي

الأرض إله لا إله إلا هو"³. فأية الدخان أكَّدت على وحدانية الله سبحانه وتعالى.

¹ الخطيب: عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص180.

² السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص144.

³ المرجع السابق، ص144.

- والثاني: ذكر فيه: أنه لما اختتم سبحانه الزخرف بقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الزخرف: 82)، وقوله: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الزخرف: 85) افتتح الدخان بقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كنتم موقنين ﴿٧﴾ (الدخان: 7) فالاتصال بينهما ظاهر، فما ذكر في آية الدخان تعميم لما سبق ذكره في خواتيم الزخرف¹.

وهناك وجه آخر ظهر لي في التناسب ومضمونه: أن المتدبر لخواتيم سورة الزخرف وفواتح سورة الدخان يلحظ فيها التوجيه الرباني للداعية والمتمثل بشخص النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يثق بالمنهج ويبلغ رسالة الله مطمئناً أن العاقبة للتعوي، وأن مآل المعاندين الذين يحاربون الله ورسوله، ويحاربون الدعوة الخسران في الدنيا والآخرة، فالمآلات في الدنيا والآخرة واضحة للداعية، فهو يعرض ما عنده بثقة ويطمئن أن الأمر لله سبحانه وتعالى ففي سورة الزخرف قال الله تعالى مخاطباً نبيه: ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ (الزخرف: 83) وفي آخرها قال: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ وَسَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: 89) ويشابه ذلك في مطلع سورة الدخان قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ﴾ (١) ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ (١٠) (الدخان: 9-10).

وهكذا برز مدى التناسب بين خاتمة سورة الزخرف وفاتحة سورة الدخان، والتي فصلت مجمل ما ورد في خاتمة الزخرف، وأكدت أيضاً على ما اشتملت عليه من الوعيد والتهديد بمزيد من الإنذار الشديد، كما واشتركت كل منهما في الحديث عن القرآن. وهو ما ظهر للعلماء والمفسرين بعد طول نظر.

¹ المرجع السابق، ص 144.

المبحث الخامس: المناسبة بين خواتيم سورة الدخان وفواتح سورة الجاثية

إنَّ في أعماق السور والآيات كنوزاً يتطلب نوالها الغوص إلى تلك الأعماق، وإنَّ الله قد أرشدنا إلى ضرورة أن نكون جادّين في أخذ آياته والعمل بها حين حكى لنا أمر الأخذ الموجه إلى سيدنا يحيى ﴿يَلِيحِي خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم:12)¹ بما ينسجم مع سنة الدعاة والعلماء في الأخذ، وإنَّ من جزئيات هذه القوة وهذا الجد، محاولة الربط بين سور وآياته، وهنا في هذا المبحث محاولة إمطة اللثام عن مخبوء العلاقة بين خواتم سورة الدوفواتح سورة الجاثية، وقبل هذا لا بدَّ من الحديث بصورة إجمالية عن سورة الجاثية كما سبق الحديث في المبحث السابق عن سورة الدخان².

سورة الجاثية هي سورة مكية بلا خلاف في ذلك³، نزلت بعد سورة الدخان وقبل سورة الأحقاف، وعدد آياتها سبع وثلاثون آية، وهي السورة الخامسة والأربعون بحسب ترتيب المصحف، والرابعة والستون في ترتيب نزول السور⁴.

وتتناول هذه السورة بيان حُجّة التّوحيد، والتّعريض بالكفار والمتكبرين، وبيان النّفع والضّرّ والإساءة والإحسان، وبيان شريعة الإسلام والإيمان، وتهديد العصاة والخائنين من أهل الإيمان، ودّمّ متبعي الهوى، وذكر ذلّ النّاس في المحشر، ونسخ كُتُب الأعمال من اللّوح المحفوظ، وتأييد الكفّار في النّار⁵.

¹ والمراد من قوله تعالى بقوة، أي: يجد واجتهاد، وذلك بالاجتهاد في حفظ ألفاظه، وفهم معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه، وهذا من تمام أخذ الكتاب بقوة. انظر: الطبري: جامع البيان، ج18، ص155. وانظر: الماوردي، علي بن محمد، (ت:450هـ): النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت/ لبنان - دار الكتب العلمية، د.ط. د.ت)، ج3، ص359-360.

² انظر للكلام عن سورة الدخان، ص94.

³ حكى ذلك ابن عطية الأندلسي في تفسيره. انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ص79.

⁴ انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج25، ص323.

⁵ انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز، ج1، ص426.

يقول الله تعالى في ختام سورة الدخان: ﴿فَاتَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِيَّاهُمْ

مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الدخان: 58-59) وفي هذه الخاتمة تذكير بمنة الله وكرمه على المؤمنين بتيسير هذا القرآن

على لسان الرسول العربي، الذي يفهمون كلامه ويدركون معانيه، وتهديد للمكذبين المعاندين لحجج هذا

الكتاب وبيئاته ودلائله بالترصد لهم والترقب في تعبير ملفوف لكثه مخيف ﴿فَأَرْتَقِبْ﴾، للشد على قلب

الرسول صلى الله عليه وسلم لانتظار النصر، وانتظار الكافرين العذاب والقهر¹.

قال المراغي: "ختم سبحانه السورة بالتذكير بالمنة على العرب في نزول القرآن بلغتهم لعلهم يعتبرون ويتعظون

به، ثم توعدهم إذا هم كذبوا بما جاء به الرسول بحلول النعمة بهم، والنصر له عليهم، كما هي سنته في

أمثالهم من المكذبين...²".

ثم قال سبحانه في افتتاح سورة الجاثية: ﴿حَمَّ ﴿٣٠﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٣١﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣٣﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ

السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَنَصْرَيفِ الرِّيحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الجاثية: 1-6) وتضمنت هذه البداية الحديث عن القرآن، ولفت

الأنظار إلى خصائصه المتميزة التي تُبرهن على أنه ليس من صنع البشر، وإنما هو من عند الله، وبيان

آيات الله الكونية كدليل على قدرة الله ووحدانيته وإمكان البعث، وتصديق أن القرآن كلام الله³.

قال السعدي: "يخبر تعالى خبيراً يتضمن الأمر بتعظيم القرآن والاعتناء به، وأنه تنزيل من الله المألوه المعبود

لما اتَّصفَ به من صفات الكمال، وانفرد به من النعم الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة، ثم أيد ذلك بما

¹ انظر: قُطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3217. وانظر: شحاتة: أهداف كل سورة ومقاصدها، ص365.

² المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص136. ونحوه ما قال السعدي والزحيلي. انظر: السعدي: تفسير الكريم الرحمن، ص774. وانظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص242-243.

³ انظر: قُطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3221. وانظر: شحاتة: أهداف كل سورة ومقاصدها، ص368.

ذكره من الآيات الأفقية والنفسية، من خلق السماوات والأرض، وما بثَّ فيهما من الدواب، وما أودع فيهما من المنافع، وما أنزل الله من الماء الذي يحيي به الله البلاد والعباد، فهذه كلها آيات بيّنات وأدلة واضحة على صدق هذا القرآن العظيم، وصحة ما اشتمل عليه من الحكم والأحكام، ودلالات أيضاً على ما الله تعالى من الكمال وعلى البعث والنشور¹.

وفي بيان المناسبة بين خواتيم سورة الدخان وفواتح سورة الجاثية فقد وردت عدة أقوال واجتهادات للمفسرين منهم: الإمام ابن الزبير الغرناطي الذي عبّر عن المناسبة بقوله: لما تضمنت السور الثلاث² المتقدمة -والتي من ضمنها سورة الدخان- إيضاح أمر الكتاب وعظيم بيانه..، أتبع ذلك - في فاتحة الجاثية- تنبيهاً لنبيه وللمؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواء مما صدّ المعرض عن الاعتبار بها أو ببعضها مجرد هواه...، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ (الجاثية:3) أي: لو لم تجنهم يا محمد بعظيم آية الكتاب فقد كان لهم فيما نصبنا من الأدلة أعظم برهان وأعظم تبيان³. وهنا يشير ابن الزبير إلى التناسب بشكل أوسع؛ فقد بيّن العلاقة بين عدة سور مظهراً الرباط الناظم بينها كلها بدءاً من سورة الشورى إلى سورة الجاثية، وهذا ينبّه عن عمق فهمه لموضوعات السور والإحاطة بها، يتجلّى هذا حينما أشار إلى أنّ السور الثلاث التي سبقت الجاثية ورد فيها إيضاح أمر الكتاب، وأنه هدى ونور، وحجة على المنكرين، وبما أنّهم لم يؤمنوا به، فقد جاءت حجة أخرى عليهم في فاتحة الجاثية، هي حجة آيات الله المنظورة في الكون والأفاق والأنفس، فكان فواتح الجاثية جاءت تنبيح لما سبق ذكره في السور الثلاث.

¹ السعدي: تيسير الكريم الرحمن، ص775.

² السور الثلاث هي: الشورى، والزخرف، والدخان.

³ انظر: ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص303-304. وانظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، ص61-62. (نقلاً عن ابن الزبير الغرناطي). وانظر: الألوسي: روح المعاني، ج13، ص136.

أما أبو حيّان الأندلسي فأرى أنّ المناسبة بين الموضعين في غاية الوضوح؛ ففي ختام سورة الدخان كان الحديث عن القرآن: ﴿فَاتَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ (الدخان: 58)، وهو ذات الكلام الذي افتتحت به سورة الجاثية: ﴿حَمَّ ﴿٦﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ (الجاثية: 1-2) فالذي يسرناه بلسانك هو مُنزَّلٌ من الله، الغالب على أمره¹. وذكر الهروي أنّ الإتيان بين الموضعين ظاهرٌ، لأنّ معنى قوله في أوّل الجاثية: ﴿حَمَّ ﴿٦﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجاثية: 1-2) أنّ هذه السورة تنزّلٌ من الله العزيز الغالب على أعدائه وأعدائك من الكفار، الحكيم الذي يحكم أمره وأمر رسوله بنصرته على الأعداء في هذه الدار ودار القرار، وهو ظاهر ربطه بقوله: ﴿فَارْتَقِبْ إِتْنَهُمْ مُّرتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (الدخان: 59) أي: ارتقب الدوائر عليهم، فإنّ الله عزيزٌ غالبٌ، يرسل الدوائر عليهم لتعذيبهم، حكيمٌ في تدبير الأمور؛ ولذا يؤخّر تعذيبهم لعلهم يتذكّرون؛ وإلّا يُعذبون². ومن الملاحظ هنا أنّ الهروي ذكر النتيجة الحتمية المترتبة على كون الله عزيزٌ حكيم، وهي إيقاعه الدوائر بالمكذّبين بدعوة الرُّسل لهم.

ومن العلماء المعاصرين الذين أبانوا عن وجه المناسبة بين خواتيم سورة الدخان وفواتح الجاثية: السامرائي حيث ذكر وجهين من وجوه التناسب بين خواتيم سورة الدخان وفواتح سورة الجاثية أحدهما: نقله عن أبي حيّان الأندلسي وقد سبق ذكره، والآخر: قريبٌ من قول ابن الزبير الغرناطي، وجملة ما فيه: أنّه لما اختتم سبحانه سورة الدخان بقوله: ﴿فَاتَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (الدخان: 58)، افتتح الجاثية بما يدعو

¹ انظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج9، ص412. ونحوه ما ذهب إليه كل من: (ابن عجيبة، والمراعي، والغماري، والزحيلي، وعبد الكريم الخطيب) في تفاسيرهم. انظر: ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج5، ص299. وانظر: المرعي: تفسير المراعي، ج25، ص140. وانظر: الغماري: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص98. وانظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص246. وانظر: عبد الكريم الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص219.

² الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ويليّه تحقيق كتاب حور العين في تبين حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد سنة 928هـ)، ص129.

إلى التذكر، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝۳﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝۴ وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝۵ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يَوْمُونَ ۝۶﴾ (الجاثية: 3-6) فكانه سبحانه يقول: هذه الأمور ينبغي النظر إليها حتى تتذكر. فكلا الموضوعين مدعاة إلى التذكر والإيمان، فما ذكره في الجاثية يدعو إلى ما ذكره في الدخان¹.

مِمَّا سَبَقَ يَطْهَرُ لِلْبَاحِثَةِ انْتِفَاقَ الْعُلَمَاءِ الْقَدَامَى وَالْمُعَاصِرِينَ عَلَى وَجُودِ تَنَاسُبِ بَيْنِ خَاتِمَةِ سُورَةِ الدَّخَانِ وَفَاتِحَةِ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ، فَمَا ابْتَدَأَتْ بِهَ سُورَةِ الْجَاثِيَةِ كَانَ مَكْمَلًا لِمَا اخْتَمَّتْ بِهَ سُورَةُ الدَّخَانِ، وَمَشَاكِلًا لَهَ فِي الْأَعْرَاضِ وَالْمَقَاصِدِ، كَمَا وَاشْتَرَكَا كِلَا الْمَوْضِعِينَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ.

¹ انظر: السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص146.

السموات وفي الأرض ولجميع العالمين، وتمجيد عظمته وكبريائه المتفردة في السموات والأرض قَالَ تَعَالَى:

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (الجاثية: 36-37)¹.

وهذا ختامٌ رائعٌ للسورة يصوِّرُ فيه سبحانه ذلك اليوم حين يعود إليهم بالتأنيب والتحقيق، وإعلان مصيرهم الأليم، بتركهم في النار ومعاملتهم معاملة المنسي دون انتظار الخروج منها أو التوبة، واسترضاء الله عن الذنوب السابقة²، وكأننا نسمع مع إيقاع هذه الكلمات صرير الأبواب وهي توصل إيصاها الأخير، وقد انتهى المشهد، فلم يعد فيه بعد ذلك تغيير ولا تحوير، هنا ينطلق بعد هذا المشهد المؤثر العميق صوت التمجيد لله ليُعلن وحدة الربوبية في هذا الوجود، وصوت التمجيد ليُعلن الكبرياء المطلقة لله في هذا الوجود، ومع الكبرياء والربوبية العزة القادرة والحكمة المدبرة³.

ولا شكَّ أنَّ الله -سبحانه وتعالى- حين يوقع العذاب على الكفار والمشركين يكون عذابه موافقاً لإنكارهم ومعصيتهم، فالجزاء كذلك من جنس أعمالهم، وقد وضع النقاط على الحروف المراغي في تفسيره فقال: ذكر سبحانه في هذا المقطع الختامي من السورة ما يزيد في تعذيب المشركين يوم القيامة ويلقي الرعب في قلوبهم؛ بأن جمع لهم ثلاثة ألوان من العذاب: قطع الرحمة عنهم، وجعل مأوهم النار، وعدم وجود الأنصار والأعوان، وذلك نتيجة إتيانهم ثلاثة ضروب من الإجرام: الإصرار على إنكار الدين الحق، والاستهزاء به، والاستغراق في حُبِّ الدنيا، لذا فإنَّهم في ذلك اليوم لا يخرجون من النار، ولا يُطلب منهم أن يزيلوا عتب ربهم عليهم لفوات أوانه، وفي الختام أتى سبحانه على نفسه، وأثبت الكبرياء والعظمة له⁴.

¹ قُطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3231-3232.

² انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص175. وانظر: الزحيلي: التفسير المنير، ج25، ص291.

³ انظر: قُطب: في ظلال القرآن، ج5، ص3234.

⁴ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج25، ص166-167.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي فَاتِحَةِ الْأَحْقَافِ: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ۚ اتَّوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾ (الأحقاف: 1-4) فبدأت السورة بالحديث عن القرآن العظيم المنزَّل من عند الله بالحق، ثم أقامت الأدلة على وجود الإله والتوحيد والحشر، وذمَّت المشركين عبدة الأصنام، وردَّت عليهم رداً مقنعاً، وأجابت عن شبهاتهم حول الوحي والنبوة¹.

وأكدَّ على هذه المعاني محمد دروزة بقوله: "ابتدأت السورة بتقرير توكيدي بأنَّ القرآن تنزيلٌ من الله المتَّصف بالعزة والحكمة، وأنَّه سبحانه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما عبثاً وإنما بحق وحكمة ولأجل معين في علمه، ثمَّ عَنَّفَت الآيات الكافرين الذين يكابرون ويعرضون عما أُنذروا به ودعوا إليه"².

وفي معرض بيان المناسبة بين خواتيم سورة الجاثية وفواتح سورة الأحقاف فقد وردت عدة أقوال واجتهادات للمفسرين منهم: ابن الزبير الغرناطي الذي عبَّر عن المناسبة بقوله: "لَمَّا قَدَّمَ سبحانه في سورة الجاثية ذكر الكتاب وعظيم الرحمة به وجليل بيانه، وتوبيخ من كَذَّبَ به وبكَلِّ الدلائل في السماوات والأرض الكافية والقائمة بالحجة، أعقبه سبحانه تسجيلاً بسوء مرتكبهم وإعلاماً بأليم منقلبهم فقال في أول الأحقاف: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الأحقاف: 3)، وذلك جزاء عدم اعتبارهم بعظيم خلق الله وإحكامه وإتقانه، وإعراضهم عن آياته: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف: 3)³.

¹ انظر: قُطْب، سَيِّد، (ت: 1385هـ): في ظلال القرآن، (بيروت القاهرة - دار الشروق، ط17، 1412 هـ)، ج6، ص3254-3255.

² دروزة: التفسير الحديث، ج5، ص(7-8).

³ ابن الزبير: البرهان في تناسب سور القرآن، ص305.

وفي هذا الربط إشارة إلى المنهج الرباني في التدُّج في التعامل مع المكذبين بدءاً من عرض الآيات والدلائل في السماوات والأرض الكافية والقائمة بالحجة على وحدانية الله، ثم توبيخ المعرضين والمكذبين منهم بهذه الدلائل، فإن بقي هؤلاء على ما هم عليه من الإعراض والجحود، رغم كل ما نصبه الله تعالى من الدلائل ومع إرسال للرسول وإنزال الكتب، ومع مواظبة الرسل على الترغيب والترهيب والإعذار والإنذار، عندها فإنَّه في انتظارهم سوء الحال والمآل، وهذا يدل على وجوب النظر والاستدلال، وعلى أنَّ الإعراض عن الدليل مذمومٌ في الدين والدنيا¹.

وذكر أبو حيان الأندلسي وجهاً آخرًا في بيان المناسبة، وفحواه: لما ذكر سبحانه إنكار الكفار لآياته وحججه واتخاذها هزواً ولعباً ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ أَتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ (الجاثية: 35)، وقولهم أنه عليه الصلاة والسلام اختلقها، ردَّ الله عليهم - في أول الأحقاف - مبيناً كذب ادعاءاتهم وافتراءاتهم فقال: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ (الأحقاف: 1-2). وهاتان الصفتان هما آخر الجاثية، وأول الأحقاف².

وأوضح البقاعي وجه المناسبة بينهما، ومضمونه: لما ختم سبحانه سورة الجاثية بصفتي العزة والحكمة، وبالحث على الاعتبار بآيات الخاقين، والتصريح بما لزم ذلك من الكبرياء المقتضية لإذلال الأعداء وإعزاز الأولياء، ذكر بما ثبت من ذلك كله تأكيداً لأمر البعث وتحقيقاً لليوم الآخر على وجه مبيِّن أنَّ الخلق كله آيات وحكم واعتبارات، فقال في أول الأحقاف مخاطباً لأهل الأوثان من سائر الأديان: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ (الأحقاف: 2) تقريراً منه أنه لم يضع شيئاً إلا في أوفق محاله، وأنه الخالق للشر كما أنه الخالق للخير ولجميع الأفعال، وأنه يعزُّ أولياءه ويذلُّ أعداءه، ويحكم أمر دينه فيظهره على الدين كله من غير أن يقدر أحد على معارضته في شيء منه، فصارت آية الجاثية مُقَدِّمَةً لهذه وهذه نتيجة³.

¹ انظر: الرازي: التفسير الكبير، ج28، ص6.

² انظر: أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، ج9، ص431. وانظر: ابن عبيدة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ج5، ص323.

³ انظر: البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج18، ص118-120.

وأضاف البقاعي أيضاً قوله: "لما ثبت في الجاثية مضمون قوله تعالى في الدخان: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنِ﴾ (الدخان:38) بما ذكر فيهما من الآيات والمنافع والحكم، أثبت هنا -في الأحقاف- مضمون ما بعد ذلك بزيادة الأجل فقال دالاً على عزته وحكمته: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الأحقاف:3) أي: على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء.."¹.

كما وأوضح الهروي وجه المناسبة بينهما وهو: أن أول الأحقاف مُبَيَّن لآخر الجاثية؛ وبيان ذلك: أنه قال تعالى في ختام الجاثية: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣٧)﴾ (الجاثية:36-37) ودليل كل ذلك: قوله في أول الأحقاف: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ (الأحقاف:3) فَإِنَّ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، فلا شك يكون الحمد حقيقاً به دون غيره، وكذا يكون رب السماوات ورب الأرض ورب العالمين بخلقه وتربيته، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، كل ذلك لخلقه، ما خلق إلا بالحق والعدل وأجل مسمى².

ومن العلماء المتأخرين الذين أبانوا عن وجه المناسبة بين خواتيم الجاثية وفواتح الأحقاف: الألويسي حيث قال: "لما ختم سبحانه سورة الجاثية بذكر التوحيد وذم أهل الشرك والوعيد، افتتح سورة الأحقاف أيضاً بالتوحيد ثم بالتوبيخ لأهل الكفر من العبيد فقال عز وجل: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝﴾ (الأحقاف:1-2)"³.

¹ المرجع السابق، ج18، ص120

² انظر: الشطيري: مقدمة في علم المناسبات القرآنية، ص130.

³ الألويسي: روح المعاني، ج13، ص161-162.

ومن الملاحظ أنّ الألويسي قد تنبّه إلى تشابه خاتمة سورة الجاثية و فاتحة سورة الأحقاف في أسلوب العرض بدءاً بذكر التوحيد ثم ذم أهل الشرك وتوعدهم عليه، وعدّه وجه المناسبة بينهما، وقد تابعه عليه المراغي¹.

كما وأوضح الغماري وجه المناسبة بينهما بقوله: "لمّا ذكر سبحانه في خواتيم سورة الجاثية ما يلحق الكفار من العذاب يوم القيامة، نتيجة إعراضهم عن القرآن، واستكبارهم عن الإيمان في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾^(٣١) إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَزْتُمْ حَيٰوةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٣٥) (الجاثية: 31-35)، افتتح سبحانه سورة الأحقاف بذكر الكتاب الذي أعرضوا عنه فأخبر بأنّه مُنزَّل من عند الله العزيز الحكيم، وذكر أيضاً خلقه للسموات والأرض وما بينهما بالحقّ للدلالة على ربوبيته ووحدانيته، وأنّ لهذا العالم أجلاً ينتهي عنده، ويأتي يوم القيامة بما فيه من العذاب، وهم عما أنذروا فيما سبق معرضون قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝ مَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾^(٣٢) (الأحقاف: 1-3)².

كما وذكر الغماري مناسبة أخرى أشار إليها من المفسرين القدامى: (أبو حيّان الأندلسي، والبقاعي) حيث قال: أنّ سورة الجاثية ختمت بصفتي العزيز الحكيم، وافتتحت سورة الأحقاف بهما أيضاً³.

كما وذكر الزحيلي في بيانه لمناسبة سورة الأحقاف لما قبلها الجاثية ثلاثة وجوه، والذي يهمنها منها الوجه الأخير منها على وجه التحديد لاختصاصه بموضوع البحث، والذي جاء فيه: "كما اختتمت سورة الجاثية بتوبيخ المشركين على الشرك، افتتحت سورة الأحقاف أيضاً بتوبيخهم على شركهم، ومطالبتهم بالدليل عليه،

¹ انظر: المراغي: تفسير المراغي، ج26، ص3.

² الغماري: جواهر البيان في تناسب سور القرآن، ص99.

³ المرجع السابق، ص99.

وبيان عظمة الإله الخالق المجيب من دعاه، على عكس تلك الأصنام التي لا تستجيب لدُعَاتهَا إلى يوم القيامة¹.

وأضاف عبد الكريم الخطيب مناسبة أخرى فقال: "لَمَّا خَتَمَتْ سُورَةُ الْجَاثِيَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ نَظَرُوا فِي آيَاتِ اللَّهِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْكُونِيَّةِ، فَرَأَوْا فِيهَا دَلَالَاتٍ قُدْرَةَ اللَّهِ، وَعِلْمَهُ، وَحِكْمَتَهُ.. وَمَنْ تَمَّ كَانَ إِيمَانُهُمْ بِاللَّهِ، وَحَمْدُهُمْ لَهُ، أَنْ هَدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.. جَاءَتْ سُورَةُ الْأَحْقَافِ، لَتَكْشِفَ عَنِ الْوَجْهِ الْآخِرِ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ، وَمَوْقِفَهُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ.. وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُشْرِكُونَ، الْكَافِرُونَ، الَّذِينَ أَعْرَضُوا عَنِ آيَاتِ اللَّهِ، وَصَمُّوا آذَانَهُمْ عَنْهَا..."². فكانت هذه الفاتحة تتبّع لما سبق ذكره في خاتمة الجاثية.

وفي هذا الوجه أظهر الشيخ عبد الكريم الخطيب المقابلة بين موقف المؤمنين من آيات الله القرآنية والكونية الذي ورد ذكره في ختام سورة الجاثية، وموقف الكافرين الذي ورد ذكره في افتتاح سورة الأحقاف.

كما وذكر السامرائي أنّ المناسبة بين خاتمة الجاثية وفتحة الأحقاف ظاهرة في أكثر من موضع، وذكر خمسة أوجه، منها³:

1. أنّ قوله سبحانه في ختام الجاثية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَعَرَّيْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (الجاثية:35) يناسب قوله في أول الأحقاف: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ (الأحقاف:3) فالإعراض كان نتيجة اتخاذهم آيات الله وحججه هزوعاً ولعباً، وانخداعهم بزينة الحياة الدنيا.

2. وقوله في خاتمة الجاثية: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية:37) يناسبه قوله في الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ

¹ الزحيلي: التفسير المنير، ج26، ص5.

² الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، ج13، ص258.

³ السامرائي: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، ص147.

شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴿(الأحقاف:4)﴾، وبيانه: أَنَّهُ لَمَّا تَحَدَّثَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْكِبْرِيَاءِ فِي خَاتِمَةِ الْجَائِيَةِ، وَالتّي تعني العظمة، نفى في أول الأحقاف أن يكون له شريك، ومن تعظيم الله عدم إشراك غيره معه في عبادته لأنّه وحده المستحق للعبادة.

3. وذكر اسميه الكريمين (العزير الحكيم) في الجاثية والأحقاف. فقد ختم سبحانه الجاثية بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿(الجاثية:37)﴾، وقال في أول الأحقاف: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿(الأحقاف:2)﴾.

ومن الملاحظ أنّ السامرائي قد استفاد مما ذكره العلماء السابقين من وجوه المناسبة، وأضاف عليها ما ظهر له من الوجوه الأخرى.

مع إمعان النظر يتبيّن مدى التناسب بين خاتمة سورة الجاثية وفتحة سورة الأحقاف، فما ذكر في فاتحة الأحقاف كان إما تعقيماً على أمور سبق ذكرها في خاتمة الجاثية، أو تأكيداً عليها، أو بياناً لها. كما واشتركت كل منهما أيضاً في أسلوب العرض بالبدء بالتوحيد ثمّ التوبيخ لأهل الكفر من العبيد، وبذكر صفتي (العزير الحكيم) في كل منهما، بالإضافة إلى المقابلة بين موقف المؤمنين من آيات الله القرآنية والكونية الوارد ذكره في ختام سورة الجاثية، وموقف الكافرين الوارد ذكره في افتتاح سورة الأحقاف.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني للانتهاء من هذا العمل، وإني من خلاله لا أدعي لنفسي العصمة ولا الكمال فالكمال لله وحده، فإن أحسنتُ في هذه الدراسة فمن الله وتوفيقه، وإن أسأتُ فمن الشيطان ونفسي، والله مُبرأ من كلِّ نقص.

وموضوع المناسبات بين السور من المواضيع التي عُنيَ بها العلماء وبيَّنوا أهميتها، ومن خلال دراستي للمناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها في سور الحواميم خلصتُ إلى النتائج التالية:

1. أن المناسبة قد تكون ظاهرة، وقد تكون خفية تحتاج إلى مزيد من التدبُّر والتأمل، وعدم ظهورها في مواضع لا يعني عدم وجودها.
2. أن علم المناسبات علمٌ قديمٌ النشأة، حيث ظهر في القرون الأولى وبدت بواكيره منذ عهد الصحابة، والتابعين، وتكلم فيه كثيرٌ من أهل العلم، ولكنه لم يستوي على سوقه إلا بعد ذلك بمدة.
3. أنه علمٌ عظيمٌ ذو أهمية كبرى، وهو علمٌ مُعينٌ على فهم كتاب الله تعالى، ومُظهرٌ لوجه من وجوه إعجازه.
4. اتفق جمهور العلماء على إثبات هذا العلم، وأنه جديرٌ بالعناية والاهتمام، ولم يخالف في ذلك إلا أفراداً من العلماء لأسباب دعتهم إلى ذلك.
5. أن هذا العلم توفيقِي اجتهدِي قابل للصواب والخطأ، ويمكن أن تجتمع في السورة الواحدة أكثر من مناسبة ولا يحصل تعارض بينها.
6. أن المتنبِّح للمناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها يجد أن سور القرآن الكريم مرتبطة ببعضها بشكل بديع، وهو ما برز في هذه الدراسة لسور الحواميم.
7. أن سور الحواميم تتربط فيما بينها بجملة من العلاقات الدلالية، مثل: العلاقات التعقيبية، والتكميلية، والتفصيلية.

8. أن من سور الحواميم ما انتقت وجوه المناسبة فيها عند المفسرين، ومنها ما تباينت فيها آراؤهم، واختلافهم في هذا المجال هو من باب اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد.
9. أن من المفسرين من اعتنى بذكر المناسبات بين فواتح السور وخواتيم ما قبلها ضمناً في تفاسيرهم، كالإمام ابن الزبير الغرناطي والإمام أبي حيان، وبالمقابل هناك من أفرد بالتصنيف في هذا الجانب، كالإمام البقاعي، وكل هؤلاء وغيرهم لهم جهود عظيمة في إبراز المناسبات.
10. بعض المفسرين اكتفى بسرد أقوال السابقين في المناسبات، وبعضهم أضاف إلى أقوالهم أوجهاً جديدة.
11. لاحظت الباحثة أن لغة المفسرين القدامى في الطرح تختلف عن لغة المعاصرين، فأسلوب القدامى يتسم بالطول والتعمق وخاصة الإمامين: (ابن الزبير الغرناطي، و البقاعي)، بخلاف المعاصرين الذين يتميزون بتبسيط الأقوال وعرضها بشكل أوضح.

توصي الباحثة في ختام الدراسة إلى الآتي:

1. التوسع في إظهار هذا الموضوع بحيث تبرز أسرار الترابط القرآني وعجائبه.
2. التركيز على نشر العلم القرآني في المجتمع من خلال عقد محاضرات دورية تناقش هذه الدراسات القرآنية.
3. تجميع جهود الباحثين في المناسبات القرآنية في جامعة النجاح الوطنية ضمن سلسلة خاصة ليسهل الاستفادة منها.
4. أن يكون هناك تفسير كامل يهتم بالدرجة الأولى بعلم المناسبات مما سيفتح آفاقاً جديدة في تدبر كتاب الله.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أبازطة، نزار - والمالح، محمد رياض: إتمام الأعلام (ذيل كتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، (بيروت-دار صادر، ط1، 1999م).

ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، (ت:606هـ): جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق بشير عيون، (مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط1، 1392هـ، 1972م).

ابن الأثير الجزري، علي بن محمد، (ت:630هـ): أسد الغابة في معرفة الصحابة، (بيروت - دار الفكر، 1409هـ-1989م).

أحميد، عبد الله بن أحمد: إجمال البيان في مباحث من علوم القرآن، (جامعة الفاتح - كلية الآداب - قسم اللغة العربية، ط2، 1374هـ-2006م).

الأصفهاني، الحسين بن محمد، (ت: 502هـ): المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق بيروت - دار القلم، دار الشامية، ط1، 1412هـ).

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): صحيح وضعيف سنن الترمذي، (الإسكندرية - برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د.ط، د.ت).

الألباني، محمد ناصر الدين، (ت:1420هـ): ضعيف أبي داود، (الكويت - مؤسسة غراس، ط1، 1423هـ).

الألوسي، محمود بن عبد الله، (ت:1270هـ): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).

الأنيس، عبد الحكيم: أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، (المجلة الأحمدية - دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي، جمادى الأولى 1423هـ - تموز 2002م).

بازمول، محمد بن عمر بن سالم: علم المناسبات في السور والآيات ويليه مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للشيخ الإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن السيوطي الشافعي رحمه الله، (جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المكتبة المكيّة، ط1، 1423هـ - 2002م).

الباقلاني، محمد بن الطيّب، (ت:403هـ): الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، (عمان - دار الفتح، بيروت - دار ابن حزم، ط1، 1422هـ - 2001م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت:256هـ): الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ): مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (الرياض - مكتبة المعارف، ط1، 1408هـ - 1987م).

البقاعي، إبراهيم بن عمر، (ت:885هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، 1404هـ).

البيهقي، أحمد بن الحسين، (ت:458هـ): المدخل إلى علم السنن، (اعتنى به وخرّج نقوله: محمد عوامة، القاهرة - دار اليسر، بيروت - دار المنهاج، د.ط، 1437هـ - 2017م).

الترمذي، محمد بن عيسى، (ت:279هـ): سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)،
ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج4، 5)، (شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ-1975م).

الجرجاني، علي بن محمد، (ت:816هـ): التعريفات، (بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ-
1983م).

الجرمي، إبراهيم محمد: معجم علوم القرآن، (دمشق - دار القلم، ط1، 1422هـ-2001م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت:393هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور
عطار، (بيروت - دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ-1987م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت:1067هـ): سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمد عبد
القادر الأرنؤوط، (استانبول - منظمة المؤتمر الإسلامي، د.ط، 2010م).

الحاكم، محمد بن عبد الله، (ت:405هـ): تاريخ نيسابور، تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن المعروف
بالخليفة النيسابوري، (طهران - كتابخانه ابن سينا، د.ط، د.ت).

الحاكم، محمد بن عبد الله، (ت:405هـ): المستدرک علی الصحیحین، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،
(بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ-1990م).

ابن حبان، محمد، (ت:354هـ): الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت
- مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ-1988م).

الحجازي، محمد محمود، (ت:1392هـ): التفسير الواضح، (بيروت - دار الجيل الجديد، ط10، 1413هـ).

ابن حجر، أحمد بن علي، (ت:852هـ): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د.حسن حبشي، (مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1389هـ، 1969م).

ابن حجر، أحمد بن علي، (ت:852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت - دار المعرفة، د.ط، 1379هـ).

حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والسور وفوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، (الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، م30، ع1، 2003م).

الحسني، عبد الحي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، (بيروت، لبنان - دار ابن حزم، ط1، 1420هـ، 1999م).

الحمداني، عبد القادر عبد الله: سور الحواميم: دراسة بلاغية تحليلية، (بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 2011م).

حميدة، طارق مصطفى محمد: التناسب في سورة البقرة، إشراف: د. حاتم جلال التميمي، (جامعة القدس، د.ط، 1428هـ-2007م).

ابن حنبل، أحمد بن محمد، (ت:241هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م).

حوى، سعيد بن محمد، (ت:1409هـ): الأساس في التفسير، (دار السلام، ط1، 1405هـ-1985م).

أبو حيّان، محمد بن يوسف، (ت:745هـ): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت - دار الفكر، د.ط، 1420هـ).

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (ت:1443هـ): القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، (دمشق - دار القلم، بيروت - دار الشامية، ط1، 1419هـ-1998م).

الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، (ت:463هـ): تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت - دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ).

الخطيب، عبد الكريم يونس، (ت: بعد 1390هـ): التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة - دار الفكر العربي، د.ط، د.ت).

ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت:681هـ): وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت - دار صادر، د.ط، د.ت).

الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، (ت:255هـ): سنن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (المملكة العربية السعودية - دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ-2000م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث، (ت:275هـ): السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت - صيدا، المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): النبأ العظيم، (دار القلم، د.ط، 1426هـ-2005م).

دراز، محمد عبد الله، (ت:1377هـ): مدخل إلى القرآن الكريم عرض تاريخي وتحليل مقارن، (الكويت - دار القلم، د.ط، 1404هـ).

دروزة، محمد عزّة، (ت:1404هـ): التفسير الحديث، (القاهرة - دار إحياء الكتب العربية، د.ط، 1383هـ).

الذهبي، محمد بن أحمد، (ت:748هـ): تاريخ الإسلام، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م).

الذهبي، محمد بن أحمد، (ت:748هـ): تنكرة الحفاظ، (بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ-1998م).

الذهبي، محمد بن أحمد، (ت:748هـ): سير أعلام النبلاء، (القاهرة -دار الحديث، د.ط، 1427هـ-2006م).
الرازي، محمد بن عمر، (ت:606هـ): مفاتيح الغيب =التفسير الكبير، (بيروت -دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).

الرومي، فهد بن عبد الرحمن: دراسات في علوم القرآن، (الرياض، ط12، 1424هـ-2003م).

ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت:708هـ): البرهان في تناسب سور القرآن، دراسة وتحقيق: أحمد شعباني، (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -المغرب، د.ط، 1410هـ-1990م).

ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم، (ت:708هـ): ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، (بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (ت:1436هـ): التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دمشق -دار الفكر المعاصر، ط2، 1418هـ).

الزرقاني، محمد عبد العظيم، (ت: 1367هـ): مناهل العرفان في علوم القرآن، (مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، د.ت).

الزركشي، محمد بن عبد الله، (ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه ثم صورته دار المعرفة، بيروت، لبنان -وينفس ترقيم الصفحات، ط1، 1376هـ-1957م).

الزركلي، خير الدين بن محمود، (ت:1396هـ): الأعلام، (دار العلم للملايين، ط15، 2002م).

الزمخشري، محمود بن عمرو، (ت: 538هـ): الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (بيروت - دار الكتاب العربي، ط3، 1407هـ).

السامرائي، فاضل بن صالح: التناسب بين السور في المفتاح والخواتيم، (دار ابن كثير، ط2، 1439هـ-2018م).

سبحاني، محمد عناية الله: إمعان النظر في نظام الآي والسور، (عمّان، دار عمار، د.ط، د.ت).

السخاوي، علي بن محمد، (ت: 643هـ): جمال القراءة وكمال الإقراء، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم، (بيروت-مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1419هـ-1999م).

ابن سعد، محمد، (ت: 168هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: زياد محمد منصور، (المدينة المنورة-مكتبة العلوم والحكم، ط2، 1408هـ).

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت: 1376هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م).

سعيد، قاسم علي: جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، (الإمارات العربية المتحدة-دبي، دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1423هـ-2002م).

سليمان، طارق يوسف إسماعيل: آراء العلماء في تطلب المناسبات بين السور والآيات، (بحث منشور في المجلة العربية للنشر العلمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع12، 2-10-2019م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ): أسرار ترتيب القرآن، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، (دار ومكتبة الهلال، ط1، 1986م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1394هـ-1974م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): إتمام الدراية لقراء النقاية، تحقيق: الشيخ إبراهيم العجوز، (بيروت- دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ-1985م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان/ صيدا -المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ): تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، (بيروت -دار الكتب العلمية، ط1، 1406هـ-1986م).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، (المملكة العربية السعودية-الرياض، مكتبة دار المنهاج، ط1، 1426هـ).

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت:911هـ): معترك الأقران في إعجاز القرآن، (بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1408هـ-1988م).

الشرقاوي، أحمد بن محمد: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، (بحث محكم بكلية أصول الدين -جامعة الأزهر، 1425هـ).

الشطيري، عبد العزيز بن عتق: مقدمة في علم المناسبات القرآنية ويليها تحقيق كتاب حور العين في تبين حسن وجه نظم سور القرآن والكتاب المبين لمحمد بن مبارك القزويني الهروي (ت: بعد 928هـ)، (جدة -مكتبة الشنقيطي، 1442هـ).

أبو شهية، محمد بن محمد، (ت:1403هـ): المدخل لدراسة القرآن الكريم، (القاهرة -مكتبة السنة، ط2، 1423هـ-2003م).

الشوكاني، محمد بن علي، (ت: 1250هـ): فتح القدير، (دمشق، بيروت - دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط1، 1414هـ).

الصابوني، محمد علي، (ت: 1442هـ): صفوة التفاسير، (القاهرة - دار الصابوني، ط1، 1417هـ - 1997م).

الصالح، صبحي إبراهيم، (ت: 1407هـ): مباحث في علوم القرآن، (دار العلم للملايين، ط24، 2000م)،
الصفدي، صلاح الدين، (ت: 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤووط وتركي مصطفى، (بيروت - دار إحياء التراث، د.ط، 1420هـ - 2000م).

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (ت: 310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م).

طهماز، عبد الحميد محمود: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، (دمشق - دار القلم، م7، ط2، 1435هـ - 2014م).

الطوير، حسن مسعود: المنهج البلاغي لتفسير القرآن الكريم، (بيروت، ط1، د.ت).

ابن عاشور، محمد الطاهر، (ت: 1393هـ): التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، (تونس - الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984هـ).

عباس، فضل حسن، (ت: 1432هـ): إتقان البرهان في علوم القرآن، (الأردن - دار النفائس، ط2، 1436هـ - 2015م).

ابن عبد الحميد، أحمد بن محمد: المناسبات في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري: جمعا ودراسة نقدية مقارنة: من أول الفاتحة إلى آخر سورة البقرة، إشراف: صلاح الدين عوض، (بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، د.ط، 2012م).

عبد الساطر، عباس: ديوان النابغة الذبياني، (بيروت-دار الكتب العلمية، ط3، 1416هـ-1996م).

ابن عبد السلام، عبد العزيز، (ت:660هـ): الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، (المدينة المنورة- المكتبة العلمية، د.ط، د.ت).

العجلوني، إسماعيل بن محمد، (ت:1162هـ): كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هندأوي، (المكتبة العصرية، د.ط، 1420هـ-2000م).

ابن عجيبة، أحمد بن محمد، (ت:1224هـ): البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة -الدكتور حسن عباس زكي، د.ط، 1419هـ).

ابن العربي، محمد بن عبد الله، (ت:543هـ): سراج المريدين في سبيل الدين لاستتارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية، تحقيق: الدكتور عبد الله التوراني، (المغرب -طنجة، دار الحديث الكتانية، ط1، 1438هـ-2017م).

عرفة، بسيوني: الفصل والوصل، (القاهرة -مكتبة الرسالة، د.ط، د.ت).

ابن عساكر، علي بن الحسن، (ت:571هـ): تاريخ دمشق: تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، 1415هـ-1995م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، (ت:542هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت -دار الكتب العلمية، ط1، 1422هـ).

عكاوي، أنعام فؤال: المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة: أحمد شمس الدين، (بيروت -لبنان، دار الكتب العلمية، ط2، 1417هـ-1996م).

ابن العماد ، عبد الحي بن أحمد، (ت:1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، (دمشق -بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1406هـ-1986م).

عمر، محمود حسن: المناسبة في القرآن الكريم، إشراف: د.محمود شرف الدين، (1437هـ-2016م).

الغباشي، عبد العظيم أحمد: ترتيب آيات القرآن وسوره، (بحث منشور في مجلة كلية الشريعة -جامعة بغداد، ع2، 1965م).

الغزالي، محمد، (ت:1416هـ): نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، (القاهرة، بيروت -دار الشروق، د.ط، 2019م).

الغماري، عبد الله بن محمد، (ت:1413هـ): جواهر البيان في تناسب سور القرآن، (مصر -مكتبة القاهرة، ط1، د.ت).

ابن فارس، أحمد، (ت 395هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، 1399هـ-1979م).

الفراهي، عبد الحميد، (ت:1349هـ): دلائل النظام، (المطبعة الحميدية، ط1، 1388هـ).

فرحات، أحمد حسن: مناسبات الآيات والسور، (مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، م3، ع1، 1390هـ-1970م).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت:817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، 1416هـ-1996م).

الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ): القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، (بيروت - لبنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426هـ-2005م).

القاسم، محمد أحمد يوسف: الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، (القاهرة-مصر، دار المطبوعات الدولية، د.ط، 1399هـ-1979م).

القاضي عياض، عياض بن موسى (ت: 544هـ): ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، (المغرب، المحمدية - مطبعة فضالة، ط1، 1981-1983م).

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت: 276هـ): الشعر والشعراء، (القاهرة - دار الحديث، د.ط، 1423هـ).

القرطبي، محمد بن أحمد، (ت: 671هـ): الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة - دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ-1964م).

القطان، مناع بن خليل، (ت: 1420هـ): مباحث في علوم القرآن، (الرياض - مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ-2000م).

قُطب، سَيِّد، (ت: 1385هـ): في ظلال القرآن، (بيروت القاهرة - دار الشروق، ط17، 1412هـ).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت - دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، 1419هـ).

كحالة، عمر بن رضا، (ت: 1408هـ): معجم المؤلفين، (بيروت - مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

الكرماني، محمود بن حمزة، (ت: 505هـ): أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، (دار الفضيلة، د.ط، د.ت).

الكرماني، محمود بن حمزة، (ت: 505هـ): غرائب التفسير وعجائب التأويل، (جدة- دار القبلة للثقافة الإسلامية، بيروت -مؤسسة علوم القرآن، د.ط، د.ت).

ابن ماجة، محمد بن يزيد، (ت: 273هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية -فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ط، د.ت).

الماوردي، علي بن محمد، (ت: 450هـ): النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (بيروت/ لبنان -دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، (ت: 1353هـ): تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت -دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).

المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ): تفسير المراغي، (مصر -شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1365هـ-1946م).

مُسلم، ابن الحجاج القشيري، (ت: 261هـ): المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت -دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).

مسلم، مصطفى، (ت: 1442هـ): مباحث في التفسير الموضوعي، (دمشق -دار القلم، ط4، 1426هـ-2005م).

مسلم، مصطفى، (ت:1442هـ): المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، (دمشق - دار القلم، ط1، 1427هـ-2006م).

المصري، رأفت: المناسبات القرآنية عند الإمام الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب، إشراف: الدكتور إبراهيم عبد الرحمن خليفة، (عمان، الأردن - دار النور المبين، ط1، 2016م).

مصطفى، إبراهيم، وآخرون: المعجم الوسيط، (دار الدعوة، د.ط، د.ت).

ابن مفلح، إبراهيم بن محمد، (ت:884هـ): المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، (السعودية - الرياض - مكتبة الرشد، ط1، 1410هـ-1990م).

المنأوي، عبد الرؤوف، (ت:1031هـ): الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، (المكتبة الأزهرية للتراث، د.ط، 2004م).

ابن منجوية، أحمد بن علي، (ت:428هـ): رجال صحيح مسلم، تحقيق: عبد الله الليثي، (بيروت - دار المعرفة، ط1، 1407هـ).

أبو هاشم، عبد البديع: السورة القرآنية، (بحث منشور ضمن "الموسوعة القرآنية" الصادرة عن المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، د.ت).

وسترات، ويلايلاك: الإنسجام النظمي في القرآن: مجموعة الحواميم أنموذجاً، (قرآنكا، جامعة ملايا بماليزيا - مركز بحوث القرآن، م6، ع2، ديسمبر 2014م).

مراجع إلكترونية:

التعريف بصلاح الخالدي من موقع المكتبة الشاملة، <https://2u.pw/vHe7zP>، تاريخ الزيارة:

2022/6/20م.

التعريف بمصطفى مسلم من موقع المكتبة الشاملة، <https://2u.pw/vTQgIT>، تاريخ الزيارة: 2022/5/5م.

التعريف بمحمد عزة دروزة من موقع المكتبة الشاملة، <https://2u.pw/xt1PxM>، تاريخ الزيارة: 2022/8/15م.

التعريف بمحمد محمود حجازي من موقع المكتبة الشاملة، <http://shamela.ws/author/1330>، تاريخ الزيارة: 2022/8/15م.

التعريف بمناع القطان من موقع المكتبة الشاملة، <https://2u.pw/KQThpr>، تاريخ الزيارة: 2022/5/5م.

الخضيري، محمد بن عبد العزيز: (علم المناسبات في القرآن)، <https://alkhaderi.com/>، تاريخ النشر: 2014/8/25م، تاريخ الزيارة: 2022/6/15م.

الموقع الرسمي للدكتور محمد عناية الله أسد سبحاني، <https://www.drsubhani.com/seerah>، تاريخ الزيارة: 2022/5/16م.

نبذة عن حياة الدكتور فاضل صالح السامرائي، <http://www.islamiyyat.com>، تاريخ الزيارة: 2022/5/16م.



An- Najah National University
Faculty of Graduate Studies

**APPROPRIATENESS OF THE OPENINGS OF QURAN
SURAHS TO THE ENDINGS OF THEIR PRECEDING
COUNTERPARTS:
AN APPLIED STUDY OF HA-MEEM SURAHS**

By

Wafa Kamal Faisal Qalalwa

Supervisor

Dr. Said Ibrahim Dweikat

**This Thesis Is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree
of Master of Fundamentals of Religion, Faculty of Graduate Studies, An-Najah
National University, Nablus, Palestine.**

2022

**APPROPRIATENESS OF THE OPENINGS OF QURAN SURAHS
TO THE ENDINGS OF THEIR PRECEDING COUNTERPARTS:
AN APPLIED STUDY OF HA-MEEM SURAHS**

**By
Wafa Kamal Faisal Qalalwa
Supervised
Dr. Said Ibrahim Dweikat**

Abstract

This study addressed the appropriateness between the openings of Qur'an surahs to endings of their preceding surahs. An applied study of Ha-Meem surahs, the study researched into the aspect of appropriateness between these surahs. It sought to answer one major question: Is there a relationship between the openings of surahs and the endings of preceding Ha-Meem surahs? To answer this question, the researcher used the descriptive analytical approaches. She surveyed the openings of surahs and endings of their preceding counterparts. She also used the inductive method by tracing these surahs. Then she conducted an applied study of the surahs.

The study falls into four chapters. The introduction covered several topics: importance of the study, its rationale, review of literature and methodology. Chapter two dwelt on meaning of appropriateness its history and importance as well as scholars' opinions about it.

Chapter three, divided in two sections, was devoted to the types of appropriateness in the Qur'an surahs: the appropriateness in the same surah and across the surahs. Chapter four was devoted to the application of the study on Ha-Meem surahs, appropriateness of openings of each surah to the ending of each preceding surah. Chapter five summed up the most important findings of the study. One finding is that there is a close and solid relationship between the surahs' openings and endings of their preceding counterparts. This is crystal clear in Ha-Meem surahs. In some of these surahs, exegesists have agreed on aspects of appropriateness. However, in some other surahs, they have differed in their opinions. The difference/disagreement, in this area, is one of diversity rather than opposition. The appropriateness the openings to the endings is sometimes crystal clear but sometimes the it is implied, and needs further contemplation and careful

consideration. Its non-appearance in some places/positions does not necessarily mean its absence.

Keywords: Opening of surahs appropriateness; surahs and Ha-Meem.